

التاريخ المُخرَجُ بالكساءِ



يوسف البندر

جزء من كتاب

التَّارِيخُ الْمُضَرَّجُ بِالدَّمَاءِ

د. يوسف البندر

2024

3.....	المقدمة.....
10.....	الضمير الحي والضمير الميت.....
12.....	شريعة الضغينة وفقه الكراهية.....
14.....	يهود بني قينقاع.....
18.....	أبو العباس السفاح وبنو أمية.....
20.....	يزيد بن المهلب وخليفة المسلمين.....
22.....	خالد بن الوليد وأهل العراق.....
25.....	عُقبه بن نافع وشمال أفريقيا.....
28.....	الخليفة المهدي وابنه الرشيد.....
30.....	ارتداد العرب عن الإسلام.....
33.....	معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري.....
35.....	أبو عبيدة وبيت المقدس.....
37.....	نهر الدم.....
41.....	ثقافة قطع الرقاب.....
44.....	الجزية.. وظلم واضطهاد الشعوب.....
46.....	بعد موت الصادق الأمين.....
50.....	النبي وحصون خير.....
53.....	كعب بن الأشرف.....
56.....	مالك بن نويرة وخالد بن الوليد.....
59.....	التاريخ الأسود الغريب.....
61.....	ثقافة حرق البشر.....
64.....	ثروات المُبشّرين بالجنة.....
68.....	الحسن . . الإمام المعصوم.....
70.....	أمير المؤمنين وأم المؤمنين.....
74.....	اغتيال الشعراء.....
76.....	قطع الرؤوس وصلب الجثث.....
78.....	السيف . . حجر أساس الإسلام.....
81.....	قطع الطُرق على القوافل.....

83.....	تقطيع لحم الأسرى.....
86.....	النضر بن الحارث وعُقبه بن أبي مُعيط.....
88.....	يهود بني النضير.....
90.....	اغتيال أبي رافع.....
93.....	السلبُ والنهب.. نهراً جهاًراً.....
96.....	بني قريظة.....
99.....	بني المُصطَلِق.....
102.....	أُمّ قِرْفَة.....
105.....	سرايا وغزوات السنة السادسة للهجرة.....

المقدمة

إن هذا الكتاب، هو في الأصل مجموعة مقالات كتبْتُها ونشرْتُها على مواقع التواصل الاجتماعي، فاقترح بعض القراء والمتابعين أن أجمعها في كتابٍ وأنشرها، خوفاً من فقدانها في زحمة البيانات الرقمية الضخمة، وصفحات الإنترنت المُتَشعِّبة، لتكون مرجعاً للقارئ يمكن العودة إليه. فقمْتُ بتنقيحها وترتيبها لتكون أكثر وضوحاً، وأسهل فهماً.

لقد بدأتُ مهمَّتي هذه ومسيرتي الصعبة المليئة بالمواد القابلة للاشتعال والانفجار، المُحاطة بالألغام الدينية والمتفجرات التاريخية، وأنا على يقين أن هذه المنطقة وعرةٌ وخطرة، وعسيرةٌ وعويصة، وشاقةٌ ومُرهِقة، وربما في يوم ما، سيحدثُ انفجارٌ عظيم، يهز كل ما أملك، حياتي، عيشتي، عمري، عائلتي، حاضري، مستقبلي!

لكن في نفس الوقت، أعلم أن ما أقومُ به من قراءة المخفي في تلك الكتب العفنة، والبحث ما بين سطور المجلدات الآسنة، وتصفح أسفار التاريخ المضرَّجة بالدماء، وصفحاته المليئة بالسيوف والرماح، وأوراقه المُطرزة بالرووس والأشلاء، وعباراته المشحونة بالسبايا والعبيد، وكلماته المُلَطَّخة بالعار والشنار! أعلم أن كل هذا نافعٌ ناجعٌ مفيدٌ، ومهمٌ عظيمٌ جليلٌ للأجيال القادمة، لأطفالنا وأبنائنا وأحفادنا، فكل ما أفعله يستحق الجهد والتعب، والسهر والعناء، والإرهاق والمشقة!

لهذا فقد سَخَرْتُ كل طاقتي وقدرتي، كل جهدي ومجهودي، كل همِّي ووقتي، لأكتبُ ما قرأته، وأنشرُ ما وجدته، وأفضحُ ما اكتشفته! هديني من هذا كله هو الحق والحقيقة، والصواب والسكينة، والإطمئنان والطُمأنينة!

أنا لا أدّعي أنني أملك الحقيقة المطلقة، ولا أحتكر الحق والصواب، ولا أستأثر بالثابت اليقين، لكنني متأكد أنني قرأت التاريخ وقلّبت صفحاته بعقلٍ ومنطق، وبيانٍ وحجة، وطالعت أسفاره بتفكيرٍ واستدلال، وتبصر وإستنباط، بعيداً عن الغريزة والعاطفة والانحياز، قريباً من المنطق والعقل والحياد، لأتمكن من التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والصدق والإفتراء!

فليس لديّ عداً ولا نزاعٍ مع أحد، ولا كره ولا ضغينة، ولا شجاراً ولا خصومة، ولا بغض ولا ثار! فيا سيدي ويا سيدي، أنا أقومُ بقراءة التاريخ والتراث وأسفار الدين، بعيداً عن أكاذيب الشيوخ، وتُرّهات الجوامع، ثم أقدمه إليكم على طبقٍ من ذهب، بطريقةٍ سهلةٍ وبسيطة، وواضحةٍ وصریحة، فما أطلبه منكم، هو أن تقرأوا ما أنشره بتروي، وتتصفحوا ما أكتبه بتأني، فكل ما أدونه هنا مدعوماً بالمصادر، وموثقاً بالمراجع.

لقد كُنْتُ مسلماً، متديناً، ملتزماً، لا أقرأ إلا القرآن، ولا أتلو إلا الصلاة، أنتمي لأسرةٍ مسلمة، وُلِدْتُ في بلدٍ يدين بالإسلام، وترعرعتُ فيه، وصليتُ في جوامعِهِ، ودرستُ في مدارسِهِ وکلياتِهِ، فمنذ نعومة أظافري، تشبعتُ بتعاليم الإسلام وشريعته، وفقه الدين وأصوله، فكل ثقافتي من تلك البيئة، وكل عاداتي من ذلك المحيط، وكل التقاليد والأعراف قد ورثتها كابراً عن كابر، ومن جيلٍ إلى جيل!

فكُنْتُ منهمكاً في قراءة القرآن يومياً، مواظباً على الصلاة بكل جوارحي، دوّوباً على الصيام بكل قواي، مثابراً، متوصلاً، عاكفاً، فأتذكرُ أنني ختمتُ القرآن بأكمله أكثر من سبعين مرة خلال خمس سنوات فقط!

لكن في بداية عام 2010 جنحتُ إلى طريقٍ آخر، واتبعتُ منهجاً جديداً، فقررتُ أن أبدأ في قراءة تفسير القرآن، وأسفار التاريخ، وكُتب السيرة، ومجلدات السنن، وصُحاح الحديث! لأنني، في الحقيقة، واجهتُ صعوبةً في فهم بعض كلمات القرآن، ومشقةً في تفسير جزءٍ من عباراته، وتعسراً في إدراك قسمٍ من نصوصه، وكُنْتُ حينها جاهلاً في تاريخ الدين وتأسيسه، وسيرة الرسول وحياته، وسُنة النبي وأصحابه!

فقررتُ في تلك المرحلة من حياتي، أن أقرأ تاريخ أجدادي، تاريخ ديني، تاريخ قرآني، تاريخ نبوي، تاريخ الرق والجواري، تاريخ السبي والإماء، تاريخ المعارك والحروب، تاريخ الغزو والإحتلال، تاريخ القتل والذبح، تاريخ السلب والنهب، تاريخ تلك الدولة التي أُسست في رمال الصحراء!

وكانت طريقتي في القراءة، أن أقرأ جزءاً من كتابٍ ما، ثم أنتقل إلى جزءٍ من كتابٍ آخر، في نفس اليوم، ربما ثلاثة إلى أربعة كُتب! فكُنْتُ أقرأ مئة صفحة من كتاب تفسير القرآن للطبري يومياً، فأكملته بعد ستة أشهر تقريباً، وفي نفس اليوم جزءاً آخر من كتاب البداية والنهاية للمؤرخ ابن كثير، وجزءاً آخر من كتاب السيرة للمؤرخ ابن هشام، حيث كان اليوم مُقسماً على عدة كُتب، حتى أنهي هذه الكتب، لأبدأ بكتبٍ أخرى! لقد احتجتُ الكثير من الوقت والعمل، والطاقة والمثابرة، والجهد والمواظبة، والمشقة والمكابدة، إنه عمر وسنين، وشباب وشيب، وبياض شعرٍ وتجاعيد!

هكذا داومتُ على البحث في أسفار التاريخ، وواصلت الليل بالنهار قراءةً وتنقيباً، وفحصاً وتدقيقاً، ونبشاً وتفتيشاً، فإستأنفتُ وإسترسلتُ وإستطردتُ، فكُنْتُ أقضي ما يقارب من خمس عشرة ساعةً يومياً في القراءة، وعلى مدار سنوات، فصار يومي عبارة عن كُتبٍ وأوراق، وقراطيس

وأقلام، حتى وجبات الطعام الثلاثة قد تحولت إلى وجبتين فقط، لكسب الوقت، فتعودتُ على ذلك حتى أصبحت عادةً مُلزمة لي!

فتتبعْتُ الكلمات والمعاني، وتقصيتُ العبارات والجُمْل، وتأملْتُ فحوى القول، وفكرتُ بمغزى الكلام، فلم أهملُ صفحةً، ولم أغفلُ ورقةً، ولم أستهنُ بكتابٍ، ولم أستخفُ بحديثٍ، ولم أتكاسل يوماً، ولم أتقاعس لحظةً!

فمرتُ الساعات، ومضتُ الأيام، وإنقضتُ الليالي، وطُويتُ السنوات سريعاً، فكشِفَ المستور، وأُفشيَ المكتوم، وأُشيعَ الممكنون، وبانتُ الأسرار والخفايا! فأصبحَ الكذب مكشوفاً، وأضحى الظلم جلياً، وباتَ الجور واضحاً! فعرفتُ ما وراء الستار، وأدركتُ ما خلف الكواليس!

لقد شعرتُ وكأنني كنتُ أعمى ضريراً، وطلّيساً كفيفاً، وكأنني لم أكن أسمع، فكُنْتُ أطرشاً أصماً، فتفاجئتُ إرتباكاً، وتحيرتُ إضطراباً، وتوترتُ إختلاجاً، لقد أضعتُ أيامي، وخسرتُ سنواتي، في بهتانٍ وزورٍ، وغشٍّ وخداعٍ، ودجلٍ ونفاقٍ!

إنها لعبةٌ كبيرة، وخدعةٌ ودسيعة، وتواطؤٌ ومكيدة، وغسيلٌ دماغٍ، وتلقينٌ وإكراه! لقد قتلْتُ الموضوع بحثاً وتنقيباً، ودرسته من جميع جوانبه، وتعمقتُ فيه، فتبحرتُ، وتوسعتُ، وأوغلتُ، فلم أجد دليلاً واحداً لأستند إليه، دليلٌ أرتكز عليه، ارتكنُ إليه، فلا دليلٌ ولا برهان، ولا حجةٌ ولا بيان، يُثبت أقوالهم أو يُرسخ إدّعاءهم.

أنا متأكد أني قرأتُ التاريخ بإمعانٍ ودقة، وبحثتُ فيه بإفراطٍ وإتقان، وفتشتُ فيه بإجادةٍ وإحكام، فأدركتُ وإستخلصتُ وإستنبطتُ، مستخدماً العقل والمنطق، لا القلب والعاطفة، في تحليل أحداثهِ البشعة، وإستخلاص

حقائقه الموهمة، وإستنباط دروسه القاسية، ونقد شخصياته السمجة، وإن كانت مقدسة عند الآخرين!

بعد أن أنهيت رحلتي بين هذا التاريخ وذاك التاريخ، صدمت بمئات الأسئلة التي أثرت، وبدأت تصرخ وتستغيث، وتصيح صياحاً شديداً، مطالبة بأجوبة منطقية، وتفسيرات مقنعة، لجرائم هذا التاريخ، لكن بلا جدوى ولا فائدة!

فقررت أن أكتب ما توصلت إليه، وأنشر الحقيقة الغائبة، والتاريخ المغيب، وسأركز هنا في هذا الكتاب على الغزو والإحتلال، والقتل والذبح، والسلب والنهب، والسبي والإماء، والجواري وإستعباد البشر، وكيف تم قطع الرؤوس، وبقر البطون، وتمزيق الأشلاء، عسى ولعل ما أذكره هنا يدفع بعض البشر، أولي الأبواب، للتأمل والتبصر، والتفكر والتدبر، والبحث والتقصي، وإدامة النظر، وإعمال العقل!

في أغلب الأحيان، حينما يقرأ المسلم المغيب ما أكتبه بقلمي، من انتقاد الإسلام وشريعته، وإظهار تاريخه، وإفشاء أسرارهِ، وبيان مساوئه وتعاليمه، وتوضيح حقيقة رسوله وخلفائه، وعرض همجية القرآن وفضاظته، وكشف ظلم التاريخ وجوره، وإيضاح إجحاف الدين وطغيانه، بعد أن يقرأ كل هذا، يُعلق مُعترضاً، ويكتب مُحتجاً، وينطق قائلاً: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ!

لا يعلم هذا المسكين المغيب، أن تلك الأمة لم تخلو، ولم تمضي، ولم ترحل، فما زالت تعيش بين طهرانينا، إنها تأكل معنا، تشرب معنا، تتحدث معنا، تخبرنا، تأمرنا، تفرض علينا، تتدخل بكل صغيرة وكبيرة، بمأكلنا ومشربنا،

ملبسنا وهيئتنا، بعادتنا وتقاليدينا، حتى بكيفية دخولنا الحمام! إنها تقتلنا بأفكارها، وتذبح أطفالنا، وتدمر حاضرنا ومستقبلنا.

والفتاة الإيرانية "مهسا أميني" التي قُتلت في سبتمبر عام 2022 هي أقرب مثال على تأثير تلك الأمة التي تدَّعون إنها خلَّت! قُتلت هذه الفتاة بسبب ملابسها، بسبب هيئة حجابها، فتلك الأمة لم يعجبها شكل ووضعيتها الحجاب، فتم قتلها بدم بارد! قُتلت بأوامر القرآن وسُنة نبي القرآن، قُتلت بأوامر الإله وشريعة السماء، قُتلت بأيادي تلك الأمة أيها الناس، الأمة التي تدَّعون إنها قد خلَّت!

تلك الأمة، التي تظنون أنها قد خلت ومضت ورحلت، قامت عام 2014 بغزو مدينة الموصل العراقية، فقتلت رجالها وذبحت شبابها، من الديانة الأيزيدية، وسبّت نساءها، واستعبدت أطفالها، واغتصبت فتياتها، وسلبت، ونهبت، وأحرقت، وخرّبت، ودمّرت، وهشّمت، وسحقت، وطحنت!

كل هذا وما زلتم تدَّعون إنّ تلك الأمة قد خلَّت! أيها السادة، ابعدوا أمتكم هذه عن الناس، ابعدوا قرآنكم ونييكم وشريعتكم عن المجتمع! ابعدوا همجيتكم ووحشيتكم ودعشنتكم عن البشر! حينها سنتأكد إنها أمة قد خلَّت، وسنرفع عنها أقلامنا، وسنتوقف عن نقدها، ونُحجم عن ذكرها!

منذ أربعة عشر قرناً، يكذبون، يمكرون، يُدلسون، يُزورون، يُزيّفون! دجّلوا علينا، تحايّلوا علينا، دلّسوا علينا، فكتبوا كذباً وتضليلاً، وسطّروا غُشاً وإفتراءً، ونقّطوا مُكرراً ونفاقاً!

منذ أربعة عشر قرناً، يقتلون، يذبحون، يأسرون، يسلبون، ينهبون، يغنمون!
فغزوا الأراضي، وقطعوا الرقاب، وبقروا البطون، ومزقوا الأشلاء، وسلبوا
البيوت، ونهبوا الناس، وحرقوا، وخربوا، ودمروا، وهدموا!

منذ أربعة عشر قرناً، يَسْبُون، ينكحون، يغتصبون، يستعبدون! فسُبيَت
النساء، وأُغتصبت الإماء، ونُكحت السراي، وبيعت الجواري، وأُستعبد
الأطفال، فزاد العبيد، وكثر الرقيق!

لقد حشروا في عقولنا ما يريدون، منذ أن كنا أطفالاً، فلا ندري، ولا نشعر،
ولا نعلم، ولا نفهم، ولا ندرك! فنَقَعوا عقولنا بإيمانهم الأعمى، وراحوا يبنون
قصورهم الواهنة وعروشهم الهزيلة، وأعلنوا أساطيرهم وخزعبلاتهم
وتفاهاتهم ديناً وشرعةً وعقيدةً!

فَنَصَّبَ كُلِّ واحدٍ منهم نفسه إماماً، حكيماً، خبيراً، عليماً! فاهماً بكل شيء،
عارفاً بأي شيء، بصيراً متضلعاً، فقيهاً مُحنكاً، فريداً متميزاً! فكفاكم دجلاً
وكفانا خنوعاً، فكم كُنّا مخدوعين، وكم كُنّا مُغَيَّبين! فسُحِقاً لكم، وتباً لكم،
وبُعداً لكم!

في الختام، أودُّ أن أقول إنَّ ما أكتبه في هذا الكتاب، ما هو إلا بُذرة بسيطة
من الجرائم التي حدثت في التاريخ الإسلامي، وكل ما أسطره هنا في هذه
الصفحات، موجودٌ في أهم الكتب والمراجع الإسلامية، التي تُدرّس للطلبة
في الكليات والجامعات، والتي ينهل منها خطباء الجوامع وأئمة المساجد
علومهم وخطبهم، وأحاديثهم وأقوالهم.

يقول الكاتب الشهير دوستوفيسكي: الكذبُ على أنفسنا ذو أثرٍ أعمق بكثير،
من الكذبِ على الآخرين!

الضمير الحي والضمير الميت

حينما تتصفح أسفار التاريخ، وتقرأ ما حدث في غزوات النبي محمد، وما فُعل في سراياه، من سلب ونهب، وسرقة وسطو، وإنتهاب وإبتزاز، وحينما تُطالع سيرة الصادق الأمين، وتجدها مليئةً بالظلم والإضطهاد، والجور والإجحاف، والقهر والإستبداد، وبعد كل هذا، لم يتمكن ضميرك من استحسان الحسن، واستقباح القبيح، فاعلم حينها يا سيدي أنك مصابٌ بمرض يُدعى اللاإنسانية!

حينما تُقلب صفحات الكتب، وتتصفح أخبار التاريخ، وتدرك مفاهيم الجُمْل، وتفهم معاني الكلمات، وتقرأ ما حدث من قتل وذبح، وسبي واغتصاب، ورقٍ وإستعباد، وبعد كل هذا، تمرُّ مرور الكرام، وتقلب الصفحة بلا شعورٍ ولا إحساس، ولا شفقة ولا عاطفة، بلا تأنيب ضمير، ولا عذاب ضمير، ولا وجع ضمير، فاعلم حينها يا سيدي أنك فاقد الضمير، معدوم الضمير، ميت الضمير!

فبشاعة الجرائم التي أُرْتُكِبْتُ كبشاعة وشناعة ضميرك يا سيدي، وقباحة السلب والنهب كسماجة قلبك ودمامة شعورك، فقد مُسِخَتْ أفكارك، وشُوهِتْ مفاهيمك، وطُمِسَتْ سريرتك، لقد فقدت الذمة والوجدان يا سيدي، من حيث لا تعلم، وخسرت المهجة والنجوى من حيث لا تدري!

أرجو أن تبحث عن ضميرك، ستجد أنه ليس نقياً، ليس صادقاً، ليس يقظاً، وفتش عن أخلاقك، ستجد أنها بلا كرم، ولا دماثة، ولا سماحة! وتَفَحَّص نفسك، ستجد أنها بلا روح، ولا سعةٍ، وستكتشف أنك تلفظ أنفاسك

الأخيرة، فأنت بلا ضميرٍ، ولا ذمةٍ، ولا أخلاق، في الحقيقة أنت ميتٌ يا سيدي، من حيث لا تعلم!

إنَّ الاحساس والشعور بالخوف أو التوجس، يمكن أن يجعلك متردداً متحيراً، ويمنعك من القيام بالكثير من الأشياء، كالتفكير والتدبر، والبحث والتبصر، والتقصي والتأمل، فالخوف يُقيّدك بسلاسلٍ حديدية، وأصفادٍ فولاذية، وأغلالٍ في الأعناق، وقيود وأقياد، تُعيق حركتك، وتبطل سمعك، وتمنع بصرك، وتقضي على شعورك!

لكن بمجرد أن تتغلب على مخاوفك، وتهزم دُعرك، ستجد أنك قادرٌ على القيام بكل ما تريد، قادرٌ على النقد والاعتراض، على الرفض والإحتجاج، متمكّنٌ من التصدي والإستهجان، من الشجب والإستنكار، رافضاً أساطيرهم، مُستنكراً خزعبلاتهم، تاركاً خرافاتهم!

بالتالي ستصبح حراً طليقاً من كل هذه القيود والأغلال، تُفكر بعقلك لا بعقلهم، وتنطق بلسانك لا بلسانهم، وتكتبُ بقلمك لا بقلمهم، فلا تكن مكبلاً مقيداً، ولا عبداً أسيراً، ولا رقيقاً مملوكاً، ولا سجيناً حبيساً، وكُن حراً سيداً، عظيماً شريفاً، عزيزاً نجيباً، زعيماً وحيهاً.

فاقرأ ولا تخشى أحداً، وابحث وإستقصِ الحقائق، وفتش ونقب أسفار التاريخ، وافحص وتأمل سطورها، وتوغل في أدغالها، وتغلغل في أقاصيها، واخترق مناطقها المظلمة، ونلّ منها نصيباً وافياً، عسى ولعلك تُزيح الغبار عن عينك، وتهزّمُ خوفك، وتكسر شوكته، وتكتسح مخافتك المعرفية، وتسحق توجسك وخشيتك!

ينصُّ فقه الدين الذي جاء رحمة للعالمين على أنَّ الجهاد في سبيل الله نوعان: جهادُ الطلب وجهادُ الدفع! جهادُ الطلب هو أنَّ تطلب الكفار في عقر دارهم، وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع إلى حكم الإسلام!

وحتُّ نبي الرحمة، النبي محمد، المسلمين على الجهاد، وشجَّعهم على القتال، قائلاً: جاهدوا في سبيل الله فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة يُنجي الله به من الهم والغم!

وقال صاحب المقام المحمود وزعيم الأمة: إنَّ ذروة سنام الإسلام الجهادُ في سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دماءهم وأموالهم!

وقال الصادق الأمين: إنَّ أفضل عمل المؤمنين جهادٌ في سبيل الله! وذكر إنَّ سيد المرسلين قد قال: إذا خرج الغازي في سبيل الله جُعلت ذنوبه جسراً على باب بيته، فإذا خلفه، خلف ذنوبه كلها، فلم يبقَ عليه منها مثل جناح بعوضة!

ويُروى إنَّ خاتم الأنبياء وخير البشر قال مُفتخراً: إنَّ لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهادُ في سبيل الله! وقال أيضاً: رهبانية أمتي الرباط في نحور العدو!

ويُذكر أنَّ صاحب النسب الأشهر، وصاحب الدين الأظهر حث على الجهاد قائلاً: الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، لا تزالون بخير ما دام

جهادكم خضر! وقال الضحوك القتال: مَنْ خرج غازياً فمات، كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة!

فالحياة عند النبي محمد وإمام المتقين، مجرد غزو، وقتل، وذبح، والرباط في نحور العدو! وهدف الحياة من وجهة نظره سوى سلبٍ، ونهبٍ، وسبي، وإماءٍ، وعبيد!

لماذا جعل هذا الرجل الغزو والسرقه والصوصية سنام الإسلام؟ لماذا شرّع ضرب رقاب البشر وتقطيع أشلاءهم، واعتبرَ هذا الفعل يُنجي من الهم والغم؟ لماذا جعلَ أفضل أعمال المؤمنين ذبح الآخرين وقطع رقابهم؟

لماذا دعا إلى ثقافة الكراهية والبغضاء، وفقه الحقد والضغينة، وشريعة المقت والعداوة؟ لماذا حرّض المسلمين على القتل، والنهب، والسلب، والصوصية، والبلطجة؟ حتى جعلهم يكرهون كل الأديان والملل والشعوب! وانتهى بهم الحال إلى كره بعضهم بعضاً!

المصادر:

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين الهيثمي/ باب الجهاد/ دار المأمون للتراث/ دمشق.

تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور/ جلال الدين السيوطي/ دار الفكر/ بيروت.
المعجم الكبير/ الحافظ أبي القاسم الطبراني/ مكتبة ابن تيمية للنشر/ القاهرة.
مسند أحمد/ الإمام أحمد بن حنبل/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

يهود بني قينقاع

في السنة الثالثة من الهجرة، وبعد انتصار المسلمين على قريش في غزوة بدر، جمع النبي محمد يهود بني قينقاع في سوقهم، ثم قال: يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النّعمة وأسلموا!

هنا يخير نبي الرحمة اليهود بين الإسلام أو القتل! فهو يهددهم بالقتل والذبح كما قتل أهل قريش في بدر! وبدون أي سبب يُذكر! السؤال هنا: أين ذهبَت الآية "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" وأين اختفت الآية "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ"؟

فقالوا: يا محمد، إنك ترى أننا قومك! لا يغرّنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبّت منهم فرصة، إنّنا والله لننّ حاربناك لتعلمنّ أنّنا الناس.

فحدث أن امرأة، زوجة أحد المسلمين الأنصار، قدّمت لسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سواؤها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه!

لو تمعنا في هذه الرواية لوجدنا أنّ أسلوبها يختلف عن الروايات الإسلامية الأخرى! حيث لم تذكر اسم هذه المرأة، ولا اسم زوجها الانصاري، ولا اسم الرجل المسلم، ولا اسم الرجل اليهودي الذي قُتل، ولا اسم الصائغ! عكس كل الروايات الأخرى التي تذكر كل الاسماء والألقاب! أي إنها رواية زبّيقية، وحكاية غامضة، وقصة مبهمّة، ربما قد تم فبركتها من قبل المسلمين لإيجاد

حجة لغزو بني قينقاع، وقتل رجالهم، ونهب بيوتهم، وسلب أموالهم، واغتصاب نسائهم!

فحاصروهم النبي محمد خمس عشرة ليلة، حتى نزلوا على حكمه، فكُتفوا وهو يريد قتلهم، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فكلمه فيهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأعرض عنه زعيم الأمة، فأدخل ابن سلول يده في جيب درع محمد، فمسكه بقوة، فقال له محمد: أرسلني، أي اتركني، وغضب سيد البشر حتى رأوا لوجهه ظللاً، فقال: ويحك أرسلني!

فلم يستجب ابن سلول، واستمر ماسكاً محمدًا، وهو يقول: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمئة حاسرٍ وثلاثمئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال له محمد: هم لك، خلّوهم، لعنهم الله، ولعنه معهم.

بعدها استولى خاتم الأنبياء والرسل يعاونه الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم أجمعين على كل أموال بني قينقاع وعلى بيوتهم ومتاعهم وأراضيهم! وأخذ منهم سلاح كثير، وآلة صياغتهم. وتم تهجيرهم وإخراجهم من مدينة يثرب بنسائهم وأطفالهم إلى أرض الشام. فقَسَمَ النبي الغنيمة بين أصحابه وخَمَسَهَا، وكان هذا أول خُمس أخذه سيد الخلق أجمعين.

أراد القتال الضحوك أن يضرب أعناق سبعمئة رجلٍ في يوم واحد، لأن رجلاً ربط ثوب امرأة لظهرها، مع العلم أن هذا الرجل قد قُتِلَ من قبل أحد المسلمين. فلماذا لا يُحاسب ذلك الرجل إن كان على قيد الحياة؟ وإن كان قد قُتِلَ، فقد انتهت المشكلة!

لقد احتضن أهل يثرب محمداً حينما كان هارباً، ضعيفاً، ذليلاً، وعندما جمع حوله الصعاليك وقاطعي الطرق، أصبح جائراً، ظالماً، غادراً. فذبح قسماً من أهل يثرب، وهجر القسم الآخر!

أهذا هو العدل الذي يتحدث به رجال الدين، ويتبجح به أئمة المساجد، ويفتخر به معظم المسلمين المُعَيَّين. أم هذا هو القسط والإنصاف الذي يتغنى به الجهلة.

كيف تُقتل قبيلة كاملة، والسبب أن أحد رجالها إقترب خطأ، أو أجرم ذنباً، فيذبح كل رجالها، وتُسبى كل نساها، ويُستعبد كل أطفالها. ثم يُهجّر كل بني قينقاع من بيوتهم وأرض أجدادهم، فتم تشتيت شملهم، وتفريق أمرهم.

قليل من الحق أيها الناس، ونُتْفَةٌ من الوجدان أيها القوم، هل فُقد الضمير، ونُزِعَت الرحمة، وإستأصل الخير، وزُرع الشر، وغُرس السوء. فمن الطبيعي أن يكون الحصاد غلاً وحقدًا، وبغضاء وضغينة!

هذا هو التاريخ الذي نخاف أن يطلع عليه الآخرون! تاريخٌ أسودٌ قاتمٌ مُطرَّرٌ بالفضائح، ومُرصَّعٌ بالعار، ومُزخرفٌ بالشنار! تاريخٌ مظلمٌ دامسٌ مليئٌ بالمهانة والنقيصة، وطافحٌ بالعيب والدناءة، وغنيٌّ بالقتل والذبح، ومفعمٌ بالوضاعة والإنحطاط! فمن الأفضل أن نتبرأ منه، ونتخلص منه، ونتنصل منه، لا أن نفتخر به، ونتشرف به، ونتبجح به!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

المغازي/ محمد بن عمر الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.

سيرة النبي/ ابن هشام/ المجلد الثاني/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/ مصر.

أبو العباس السفاح وبنو أمية

أبو العباس السفاح، هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفاء بني العباس، تولى حُكم الدولة الإسلامية وهو في السادسة والعشرين من عمره، ويلتقي مع النبي محمد بن عبد الله في جده عبد المطلب.

كان شديد البطش والتنكيل في خصومه، اتخذ من الكوفة عاصمة لدولته في بادئ الأمر ثم تحول عنها إلى الأنبار، ولكن خلافته لم تدم طويلاً، حيث توفي بالجدري عام 136 للهجرة بعد أربعة أعوام من توليه الخلافة.

في عام 132 للهجرة أرسل الخليفة عمه عبد الله بن علي إلى مدينة دمشق، فحاصرها أياماً، ثم دخلها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وأباحها ثلاث ساعات، وهدم سورها، حتى قيل إنه قُتل نحو خمسين ألفاً.

ودخل عبد الله بن علي مدينة دمشق فجعل مسجد جامعها سبعين يوماً اصطبلًا لدوابه وجمالها، ثم نبش قبور بني أمية، فنبش قبر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، فلم يجد فيه إلا خيطاً أسوداً، ونبش قبر الخليفة عبد الملك بن مروان، فلم يجد منه سوى جمجمته فقط.

ونبش قبر الخليفة هشام بن عبد الملك، فوجده صحيحاً لم يُبَلَّ منه إلا أرنبة أنفه، فضربه بالسياط وهو ميت، وصلبه أياماً، ثم أمر به فأحرق بالنار، ودُق رماد جثته، ثم نُخِلَ ودُرِيَ بالريح!

ثم تتبع من بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، فأخذ منهم اثنين وتسعين نفساً، فقتلهم على نهر بالرملة، وجمعهم وبسط عليهم الأنطاع (بساط من

الجلد)، وجعل فوق الأنطاع موائد عليها الطعام، وجلس هو ومَنْ معه يأكل ويأكلون فوقهم، وهم يتحركون من تحت الأنطاع!

وما زال البعض يصرخ بأعلى صوته ويقول: الإسلام دين السلام! أي منطقٌ هذا أيها البشر! نبش القبور، وصلب الجثث، وقتل الناس، وتناول الطعام فوق القتلى، كل هذا ومازلنا ندّعي السلام! أي جنون هذا، وإضطرابٌ واختلالٌ وإرتجاجٌ في العقول! أي إختبالٌ وخرقٌ ولوثَةٌ وهبل! ما هذا إلا فوضى في التحليل، وخللٌ في التفكير، وهرجٌ ومرج!

فإدعَاؤنا أيها السادة، يخلو من الحكمة والذكاء، ويفتقر للرصانة والرزانة، وينقصه الفطنة والعقل! فشعار الإسلام دين السلام، ما هو إلا تضليلٌ وتزوير، وتزييفٌ وتلفيق، ومكرٌ ومخادعة، ونفاقٌ ومداهنة، ودجلٌ وإفكٌ وبُهتان! فأسفار التاريخ تشهد على القتل والذبح، وعلى غزواتنا المتعسّفة الظالمة، وتبيّن سلبنا ونهبنا وأعمالنا المُجحفة، وتوضّح سبينا النساء، واستعبادنا الأطفال، وإجتياحنا الأراضي، واحتلالنا المدن! فكفانا تبجحاً وصفاقاً!

هذه هي الخلافة الإسلامية التي ننادي بها، وهذا ما ندعو له ونؤيده! فهذا هو تفكيرنا، وهذا هو وجداننا، وهذه هي ضمائرنا، وهذه هي أخلاقنا! فدعونا نتبرأوا من كل هذا الشر إن كنا صادقين!

المصادر:

كتاب البداية والنهاية / ابن كثير / الجزء العاشر / الطبعة الثانية 2010 / دار ابن كثير / دمشق - سوريا.

كتاب تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر / الجزء الثالث والخمسون / دار الفكر للنشر 1995 / بيروت - لبنان.

يزيد بن المهلب وخليفة المسلمين

يزيد بن المهلب بن سراق، أميرٌ وقائد عسكري، كان والي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة. في عام مئةٍ واثنين للهجرة، خرج يزيد بن المهلب وخلع خليفة المسلمين "يزيد بن عبد الملك"، واستحوذ على البصرة وما يليها من فارس والأهواز، واستولى على الحكم هناك.

فأرسل الخليفة، الذي كان مقره في دمشق، جيشاً إلى البصرة، بقيادة كلٍ من أخيه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد لقتال ابن المهلب الذي كان معه مئة وعشرون ألف مقاتل.

فتواجه الجيشان، ونشبت الحرب، وتبارز الناسُ، وتقاتل القومُ، وتناجزوا، وتصارعوا، وتواقعوا، ثم انهزم أهل البصرة وقُتل يزيد بن المهلب، وتم أسر حوالي ثلاثمئة رجل، فأمر الخليفة بقتلهم!

بعدها تم إرسال النساء والرؤوس المقطوعة والأسرى من آل المهلب، ومن ضمنهم رأس يزيد بن المهلب إلى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ومعه رأسي المفضل وعبد الملك ابني المهلب، بالإضافة إلى تسعةٍ من الصبيان الأحداث، فأمر بضرب أعناقهم، ونُصبت رؤوسهم بدمشق ثم أرسلها إلى مدينة حلب فنُصبت هناك.

المفارقة هنا، أنَّ كل الذين قُطعت رؤوسهم، وبُقرت بطونهم، ومُزقت أشلاؤهم كانوا مسلمين! وقد تم قتلهم بسيوف المسلمين! ونُصبت رؤوسهم وتم تعليقها بأيادي المسلمين! وكل هذه المجزرة التي حدثت كانت بأوامر خليفة المسلمين! والجميع يصرخ الله أكبر، لقد أعزنا الله بالإسلام!

فهل كان القتال وسفك الدماء من أجل الإسلام والدين، وهل كانت المعارك والحروب للدفاع عن الله وشريعته، أم كان كل ذلك جهاداً في سبيل الله!

السؤال المهم هو: هل كان الإنسان العربي وحشاً همجياً، وسفاحاً سوقياً، وسفكاً مجرمًا من الأساس؟ أم إن الديانة التي اعتنقها أثرت عليه، وغيّرت سلوكه، وبدلت طباعه، فسببت كل هذا العنف والفتك والبطش، وكل هذه القسوة والغلظة والفظاظة؟

وبعد كل ما سطره التاريخ من صفحات دموية، ورؤوس مزرقة بالدماء، وأشلاء ممزقة، مازال خطباء الجوامع، وأئمة المساجد يكذبون، ويخادعون، ويمكرون، متبجحين بالآية التي تقول " أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ! " لا أظن أيها السادة الكرام، أنهم كانوا رحماء بينهم!

المصادر:

تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء السادس/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.
كتاب البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء العاشر/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.
كتاب الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الرابع/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

خالد بن الوليد وأهل العراق

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، قائد عسكري، لقبه النبي محمد بسيف الله المسلول، اشتهر بعبقريته تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة الجيوش، وقد لعب دوراً حيوياً في انتصار قريش على قوات المسلمين في غزوة أحد قبل إسلامه.

في عام 12 للهجرة بعث خليفة المسلمين أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى العراق، وأن يتألف الناس فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم! فليسمع أهل العراق كيف أصبحوا مسلمين، الإسلام أو الجزية أو القتل!

فنزّل خالدٌ وجيشه منطقة الحيرة، فخرج إليه أشرافها، فصالحوه على مئتي ألف درهم! وكانت أول جزية أُخذت من العراق، فحُمِلت إلى المدينة "يثرب". فقد قدّم أهل الحيرة أموالهم للمسلمين، من دراهم ودنانير، وفضة وذهب، كي يحافظوا على حياتهم وحياة نساءهم وأطفالهم! وفي الحقيقة، لا أعلم كيف نسي أبو بكر وخالد بن الوليد وجيش المسلمين الآية التي تقول: "لكم دينكم وليّ دين!"

بعدها سار خالد إلى منطقة تُدعى كاظمة بالقرب من البصرة، فحدثت هناك غزوة ذات السلاسل، وبلغ عدد القتلى ثلاثين ألف سوى من غرق. وبعد هذه المجزرة، سار ابن الوليد إلى موضع الجسر في البصرة أيضاً، وبعث الأمراء يميناً وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك، فدخلوها عنوةً وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمّة، وغنائماً وفيرة، وسلبوا ونهبوا حتى امتلأت جيوبهم وخوت ضمائرهم.

ثم سار خالد حتى نزل على منطقة المذار (ميسان)، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وتصارعوا، وتقارعوا، فقتل المسلمون منهم ثلاثين ألفاً، وغرق الكثير منهم في الأنهار، فغنم المسلمون أموالهم وسُبَيْتُ نساؤهم، فقسَّم خالدُ سبي الذراري وأربعة أخماس الغنيمة على المقاتلة وأرسل الخمس الآخر إلى خليفة رسول الله!

بعدها انتقل خالدٌ وجيشه إلى موضع يُدعى الوليجة، واقتتلوا قتالاً شديداً، أشد مما قبله! فقتل منهم سبعين ألفاً، وقتل طائفة من بكر بن وائل، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة!

ثم كانت وقعة أليس في نفس السنة، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وقيل مئة وخمسين ألفاً، وأسروا الكثير، ثم وُكِّلَ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، وكلما حضر منهم أحدٌ ضُربتْ عنقه في النهر، فسُمِّيَ النهر بنهر الدم!

هكذا كانت الجيوش الإسلامية تُعامل أهل الأرض التي تغزوها، قتلاً واسراً وسيئاً وضرباً للأعناق! وهكذا كان الناسُ يعتنقون الإسلام، قتلاً وذبحاً، ضرباً بالسيوف وطعنًا بالرماح! وهكذا كان المسلمون يَنْهَبون ويسلبون ويسبون ويغتصبون!

هذا ما مكتوب في كُتُب التراث، وهذا هو التاريخ الذي لم يُدرَس لنا، وهذه هي الحقيقة التي كُتِمت، والأخبار التي دُفنت، والأحداث التي طُمست! لقد آسى العراق وأهله كثيراً، وما زال يُؤاسي من جرّاء هذا الدين!

كيف كان يُدرَس لنا التاريخ، وكيف كُنّا نُخدع، لقد كذَّبوا وإحتالوا علينا، لقد داهنوا ودلّسوا، وخادعوا ودجّلوا، لقد زوروا التاريخ، وزيّفوا الأحداث،

أهكذا كان الناس تُنهب بيوتهم، وتُسلب كرامتهم، وتُغتصب نساؤهم،
ويُستعبد أطفالهم، أحقاً هذا الدين هو دين السلام، وشريعة الله!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء السابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/
دمشق.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1967/
دار المعارف/ مصر.

عُقبَة بن نافع وشمال أفريقيا

عُقبَة بن نافع الفهري، قائد عسكري ومن أبرز قادة الغزوات الإسلامية للمغرب، ووالي ما يُسمى في وقتها إفريقية مرتين، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة يزيد بن معاوية، يُلقَّب من قِبل المسلمين بفتح إفريقية.

في عام 50 للهجرة استعمل الخليفة معاوية على إفريقية عُقبَة بن نافع، الذي كان مقيماً في مدينتي برقة وزويلة منذ أن غزاها واحتلها قبل سنوات. فسير معاوية له عشرة آلاف فارس، فدخل إفريقية، وانضاف إليه مَنْ أسلم من البربر (الأمازيغ) فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد! فبدأ يغزو ويرسل السرايا، فتغير وتنهب وتسلب! فدخل كثير من البربر في الإسلام!

وبعد موت معاوية، وفي عام 62 للهجرة بالتحديد، استعمله الخليفة الجديد، يزيد بن معاوية، على إفريقية مرة أخرى، فسار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية (مدينة كبيرة في أقصى إفريقية) وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم، فقاتلوه قتالاً شديداً، وانهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وغنم منهم غنائم كثيرة!

ثم سار إلى بلاد الزَّاب، وهي بلاد واسعة، فيها عدة مدن وقرى كثيرة، فقصده مدينتها العظمى (أرْبَة) فامتنع الروم والمسيحيون، فاقتتل المسلمون معهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، فهرب البعض، وأخذهم السيف، وكثر فيهم القتل، وقتل الكثير من فرسانهم، وغنم المسلمون أموالهم ومتاعهم وسلاحهم!

ثم سار حتى نزل على طنجة، وبعدها سار إلى السُّوس الأدنى، وهي مغرب طنجة، فلقوه البربر، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وبعث خيله وراءهم في كل مكان هربوا إليه، وسار هو حتى وصل إلى السُّوس الأقصى، وقتل المسلمون البربر حتى ملّوا، وسلبوا بيوتهم ونهبوا أموالهم، وغنموا منهم وسبوا سبياً كثيراً!

وزحف عُقبة وجيشه إلى كُسيلة بن لمزم البربري، فقاتلوا البربر، فتم قتل المسلمين جميعاً في هذه المعركة، لم يفلت منهم أحد! وقتل كُسيلة عُقبة بن نافع، ودخل كُسيلة القيروان واستولى على إفريقية، وبها الذراري من المسلمين، فطلبوا الأمان من كُسيلة فأمنهم!

فما سبب زحف الجيش الإسلامي من صحراء الجزيرة إلى الأراضي البعيدة كتونس والجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا والإستيلاء عليها ونهب خيراتها وسلب بيوتها وقتل أهلها وسبي نساءها واستعباد أطفالها؟ فما هذه إلا جنايةٌ وجريمة، وإثمٌ وجريرة، وظلمٌ وإستبداد، وتعسفٌ وجور، وعدوانٌ وحيف، وطغيانٌ وإجحاف!

فالقائد المسلم عُقبة بن نافع الذي نفتخر به ليل نهار، وتبجح به كُتب التاريخ، وتتشرف به الناس، حاله حال القادة المغول مثل جنكيز خان، وتولي خان، وهولاكو، الذين نُعيب سلوكهم، ونذم أفعالهم، ونستقبح أعمالهم، ونصفهم بالإجرام والعنف، والبطش والفتك! فعجبٌ لأفكارنا، وغبابةٌ لعقولنا! نفتخر بالمجرمين القتلة، وتبجح بسافكي الدماء، ونزهو بقطّاع الطرق!

المصادر:

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثالث/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت -
لبنان.
البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الثامن/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.

ال خليفة المهدي وابنه الرشيد

المهدي بالله، هو محمد بن عبد الله المنصور، ثالث خلفاء الدولة العباسية، وليّ الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور عام 158 للهجرة. فأمر المهدي بتتبع الزنادقة وإبادتهم، والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة!

وفي عهده كثرت الغزوات على أرض الروم، وتم إحتلال باريد من بلاد الهند، حيث حاصروها المسلمون من نواحيها، وضايقوا أهلها، فاحتفى أهلها بالبُدّ الذي لهم (بيت الأصنام)، فأحرقه المسلمون عليهم، فاحترق بعضهم، وقُتل الباقون!

وفي عام 162 للهجرة وأثناء خلافة المهدي، غزا الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة، من غير المتطوعة، فدمر قرى الروم، واجتاح أراضيها، وحرق بلداناً كثيرة، وخرّب أماكن، وأسر خلقاً من الذراري! وفي نفس الوقت، غزا يزيد بن أسيد السلمي بلاد الروم من جهة أرمينية فغنم وسبى خلقاً كثيراً.

وفي عام 165 بعث الخليفة ابنه الرشيد لغزو الروم ومعه جيش جرار، فقتل الرشيد من الروم أربعة وخمسين ألفاً، وأسر من الذراري خمسة آلاف وستمئة وأربعين رأساً، وقتل من الأسرى ألفي قتيل صبراً، وغنم من الدواب بادواتها عشرين ألف فرس، وذبح من البقر والغنم مئة ألف رأس! وبعدها تم الصلح على أن تدفع الروم سبعين ألف دينار كل سنة!

وأرمينية بلدٌ جبلي تقع في القوقاز، وهي أول المناطق التي اعتمدت المسيحية ديناً لها، في السنوات الأولى من القرن الرابع الميلادي. فالسؤال الذي يطرحه أي قارئ لهذه الأحداث، هل كانت أرمينية أرضاً تابعة

للجزيرة العربية؟ هل كانت هذه الغزوات وقتل الناس وتمزيق أشلائهم، دفاعاً عن النفس؟ أم كان ذبح الاسرى صبراً وتقطيع أطرافهم دفاعاً عن الحق والدين؟

هل تخريب القرى وحرق البلدان وتدمير البيوت هي الأخلاق التي نتغنى بها نحن المسلمين اليوم؟ أم إنَّ أسر الذراري وسبي النساء والإغتصاب والاختطاف هي الرحمة التي يتبجح بها الشيوخ وأئمة المساجد؟

هل السلب والنهب والسطو والصوصية هي الأمانة والطمأنينة التي تتفاخر بها خير أمة أخرجت للناس؟ أم إنَّ إستلاب الغنم وإنتهاب البقر وامتشان الأموال هي الفروسية والشجاعة والإقدام؟

بل هذا اعتداءٌ سافرٌ أيها السادة، وطغيانٌ صارخٌ، وظلمٌ فاحشٌ، وقهرٌ فاضحٌ! وهذا هو الإجحاف والإستبداد، وذلك هو الجور والتعسف! أما زلنا نسَمِّي ما تقوم به هذه العصابات أوامراً مقدسة من السماء؟ أم ندَّعي إنَّ خلفاء رسول الإسلام لا يمثلون الإسلام! فَمَنْ هو الذي يمثل هذا الدين، وَمَنْ هو الذي يُطبق تعاليم القرآن، وَمَنْ هو الذي يقتفي أثر سُنَّة رسول الله!

المصادر :

الكامل في التاريخ لابن الأثير/ الجزء الخامس/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثامن/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء العاشر/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.

بعد موت النبي محمد في عام أحد عشر للهجرة، جاء الخبر بارتداد العرب عن الإسلام عامةً إلا قريشاً وثقيفاً، وبدأت القبائل بترك الإسلام، كقبيلة أسد وهوازن وغطفان وطيء وبنو سليم! فاستعان خليفة المسلمين "أبو بكر" بشريعة الله وحكم السماء التي تنص على "من بدل دينه فاقتلوه".

فأرسل الخليفة إلى أهل اليمامة خالد بن الوليد، فحمي الوطيس، ونشبت الحرب، واشتعلت الصحراء، فسفكت الدماء، وقطعت الأعناق، ومُرقت الأشلاء، فقتل من المسلمين حينها أكثر من ألف، ومن الطرف الآخر نحو عشرين ألف!

بعدها بعث أبو بكر، العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، فخرج إليهم هو وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف، وطعنوا فيهم الرماح وقتلوهم شر قتلة، فتناثر الجثث، وتفرقت الرؤوس، وتبعثت الأشلاء، فاستولوا على الغنائم، ونهبوا البيوت، وسلبوا القتلى!

ثم سار العلاء بن الحضرمي إلى منطقة تدعى دارين، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وتحاربوا، وتناجزوا، فما تركوا بها أحداً، وسبوا الذراري واستاقوا الأموال والغنائم، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين!

وبعث أبو بكر إلى عمان عكرمة بن أبي جهل، وحذيفة بن محصن، وعرفجة البارقي، فاستحروا القتل فيهم، وقتلوهم شر قتلة، بفضاعة وعنف وقسوة، فقتلوا منهم عشرة آلاف فأثخنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسموا السبي والمغانم على المقاتلين، وبعثوا بالخمس إلى خليفة "رسول الله"!

ثم سار عكرمة بن أبي جهل ومن معه من المسلمين حتى اقتحم على مَهْرَة بلادها، فقتلوا منهم ما شاءوا، وأصابوا ما شاءوا، فخمّس عكرمة الفياء والغنائم، فبعث بالأخماس إلى أبي بكر، وقسم الأربعة أخماس على المقاتلين!

وانتفضت كندة على زياد بن لبيد (وآلي حضرموت) فكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أمية (وآلي صنعاء) أن يساعد زياداً، فسار إليه ولقوا المرتدين فقتلوا منهم، وأصابوا الكثير، وسبوا نساءهم وذرائعهم، وغنموا أموالهم، ونهبوا بيوتهم، وسلبوا متاعهم!

بعدها أرسل أبو بكر "خليفة رسول الله" المدد إلى زياد بن لبيد، فأمر عكرمة ومن معه أن يسيروا إلى أهل اليمن، وعندما لقوهم اقتصلوا قتلاً شديداً، فأكثروا القتل فيهم، وأزهقوا أرواحهم، وفتكوا بهم، وغنموا أموالهم، وجمعوا الغنائم، ووزعوها فيما بينهم!

وتحصنت ملوك كندة في الحصن وأغلقوا عليهم، فحاصروهم عكرمة وزياد والمهاجر، ثم استسلموا، فأمر زياد بكل من في الحصن أن يقتلوا فقتلوا جميعاً عن بكرة أبيهم، وكانوا سبعمئة رجل، وغنم أموالهم، وسبوا نساءهم وذرائعهم!

فكل من يملك ذرة من ضمير حي سيتساءل مستنكراً ويستفهم مستهجناً: لماذا كل هذه الدماء التي سُفكت؟ وما الدافع من قتل الناس وذبحهم؟ لماذا كل هذا الفتك والبطش والإبادة؟ لماذا كل هذا السطو والسلب والنهب؟ لماذا كل هذه السبايا والإماء والعبيد؟ لماذا كل هذا الجور والتعسف والطغيان؟

مجرد أنّ الناس رفضوا دينكم! رفضوا أخلاقكم! تُقطع رؤوسهم، وتُمزّق أشلاؤهم، وتُسلخ جلودهم، وتُسبى نساؤهم، ويُستعبد أطفالهم، وتُنهب أموالهم، وتُسلب بيوتهم!

أية وقاحة هذه! أية سفالة تلك! أية خساسة ونذالة، وأية دناءة ورذالة! متى يأتي اليوم لنخجل من تاريخكنا، وتعتذر لتلك الشعوب، ونعترف ببشاعة ديننا، وشناعة عقيدتنا، وقباحة شريعتنا. إلى متى سنبقى نتبجح ونُدّعي بكل صفاقةٍ ووقاحةٍ، إنّ داعش لا تمثل الإسلام! وتاريخ الإسلام يشهد عكس ذلك!

المصادر :

كتاب تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.
كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم/ ابن الجوزي/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 1995/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري

معاذ بن جبل، صحابي وفقه وقارئ القرآن وراوي للحديث، من الأنصار، من بني جشم بن الخزرج، شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع النبي محمد، واستبقاه النبي في مكة بعد العام الثامن للهجرة، ليُعلِّم الناس القرآن ويفقههم. وفي العام التاسع للهجرة، وبعد غزوة تبوك، بعثه النبي عاملاً له في اليمن. وشارك في الغزوات بعد وفاة النبي.

وقال النبي في أحد الأيام: خذوا القرآن من أربعة، من ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة. وتوفي معاذ هو وزوجتيه وولديه في الأردن في مرض الطاعون، الذي أصاب الكثير من المسلمين، والمعروف بطاعون عمواس.

أما أبو موسى الأشعري، هو عبد الله بن قيس الأشعري، صحابي، ولأه النبي على مدينة عدن في اليمن، ولأه عمر بن الخطاب على البصرة، ولأه عثمان بن عفان على الكوفة، وكان المُحكِّم الذي اختاره علي بن أبي طالب من بين حزبه في جلسة التحكيم التي لجأ إليها الفريقان بعد وقعة صفين. وشارك في غزوات الشام بعد وفاة النبي، وقيل قد توفي عام 44 للهجرة.

حينما كان معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري يحكم كلُّ منهما جزءاً من اليمن، سار مُعاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسيرٌ على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالسٌ وقد اجتمع إليه النَّاسُ، وإذا رجلٌ عنده قد جُمعتْ يده إلى عُنُقِهِ، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس، أَيْمٌ هذا؟ قال: هذا رجلٌ كان يهودياً فأسلم، ثم راجع دينه دين السوء فتهود، فهو رجلٌ كفر بعد إسلامه، فقال معاذ: لا أجلسُ حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، قضاء الله ورسوله، قضاء الله ورسوله!

فقال أبو موسى الأشعري: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل! وقد ذكر هذه الرواية كل من البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وأحمد بن حنبل! أي لا يمكن لأحد أن ينكرها!

فهذا هو قضاء الله ورسوله! وهذا ما تنص عليه شريعة السماء! وهذا ما يتبجح به المتبحرون! أيقتل إنساناً لأنه عرّف حقيقة الدين وأساطير الشريعة؟ أيذبح امرؤاً لأنه فكّر وأعمل النظر، وبحث وتأمّل، وتدبّر وتبصّر؟ أتقطع أشلاؤه وتضرب عنقه لأنه حقق ودقق، وتقصى وتروّى، وتفكّر وقرّر؟ أمازلتم تعتبرون هذه الجرائم ديناً من السماء، وشريعة من الإله؟ إنها الإجحاف والطغيان أيها السادة، والجور والعدوان يا أولي الألباب، والتحكّم، والتجبر، والتسلط، يا أصحاب العقول!

ما أروع العقل حينما يكون منفتحاً مُفكراً، مُبدعاً مُدركاً، مُستنبطاً فاهماً، وما أقبحه حينما يكون مُتبعاً مُقلداً، متخلفاً جاهلاً، مُغفلاً ساذجاً! فدع عقلك يفكر ويقرر، ويبحث ويفتش، ويفحص ويدقق، فلا تتبع أحداً، ولا تُقلد شيخاً!

المصادر:

كتاب صحيح البخاري/ محمد بن اسماعيل البخاري/ كتاب المغازي/ الطبعة الأولى 2002/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.
كتاب المُغني/ ابن قدامة/ الجزء الثاني عشر/ دار عالم الكتب/ الطبعة الثالثة 1997/ الرياض-السعودية.

أبو عبيدة وبيت المقدس

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، صحابي وقائد عسكري، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، لقبه النبي محمد بأمين الأمة. وفي عهد أبي بكر، كان أبو عبيدة أحد القادة الأربعة الذين عينهم أبو بكر لقيادة الجيوش في غزوات بلاد الشام، فقد نجح في الإستيلاء على مدينة دمشق وغيرها من مدن الشام وقراها. وفي عام 18 للهجرة توفي أبو عبيدة بسبب طاعون عمواس في الأردن، ودُفن هناك.

خرج أبو عبيدة الجراح بمن معه من المسلمين من دمشق حتى صار إلى بلاد الأردن فعسكر بها، ثم كتب إلى أهل إيلاء "بيت المقدس" كتاباً ذكر فيه:

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، أما بعد! فاني أمركم أن تشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله، فاذا شهدتم بذلك فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم، وإن أبيتم ذلك فأقروا لنا بإعطاء الجزية عن يد وانتم صاغرون، وإن أبيتم ذلك سرت إليكم بقوم هم أحب للموت من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم ابداً حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذريتكم وأقسم أموالكم، فاختاروا واحدة من اثنتين!

ملخص رسالة أبي عبيدة: إما اعتناق الإسلام وإما التنازل عن أموالكم! وإلا دخلنا مدينتكم، وقتلناكم، وسبينا نساءكم وأطفالكم، ونهبنا أموالكم، وسلبنا بيوتكم!

فلما قرأ أهل إيلياء كتاب أبي عبيدة، أبوا ما عرض عليهم من الإيمان ولم يجيبوه إلى شيء، فسار أبو عبيدة وجيشه حتى نزل بساحتهم، وخرج أهل إيلياء للدفاع عن مدينتهم ونسائهم وأطفالهم وأموالهم، فاقتتلوا وتحاربوا،

وتوقعوا، ووقعت الهزيمة على أهل إيلياء، فقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً حتى أدخلوهم مدينتهم.

ودامت الحربُ بينهم أياماً كثيرة، فلما لم يجدوا حيلة، ولم يكن لهم بالمسلمين طاقة، بعثوا إلى أبي عبيدة: إنّنا قد أحببنا مصالحتكم، واكتبوا إلى صاحبكم عمر بن الخطاب حتى يقدم، فيكون هو الذي يعطينا الأمان ويكتب لنا العهد!

لا أعلم ما الفرق بينهم وبين عصابة اللصوص والبلطجية! وما زال المسلمون يتباكون ويولولون على مدينة إيلياء (القدس) ولا يعلمون أنها ليست مدينتهم بل هي مدينة تابعة لأهلها (أهل إيلياء) وتم اجتياحها واحتلالها من قبل غزاة وقتلة، ومجرمين وسفّاحين، وسافكي دماء، ومغتصبي أراضي، وناهبي أموال، وسالبي بيوت، كما تذكر الكتب التاريخية الإسلامية!

إلى متى يبقى المسلم المسكين مُغفلاً مُغيباً، وساذجاً مُتخلفاً، وغريراً غافلاً، إلى متى تبقى جاهلاً بالتاريخ، مخدوعاً بالأساطير، مغشوشاً بالخرافات! أما حان الوقت لتكون بصيراً فهِمماً، وحصيفاً عاقلاً، وليبياً حاذقاً، أما حان وقت الاستيقاظ والصحوّة، كفاك نوماً ورقوداً، كفاك سُباتاً وغيوبة!

المصادر :

كتاب الفتوح/ ابن أعثم الكوفي/ الجزء الاول/ الطبعة الأولى 1991/ دار الأضواء للطباعة/ بيروت-لبنان.

كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

كتاب البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء السابع/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.
كتاب فتوح الشام/ محمد بن عبد الله الأزدي/ مدينة كلكتة.

في السنة الثانية عشر بعد الهجرة، قام المسلمون وعلى رأسهم خالد بن الوليد بالهجوم على أهل مدينة الولجة الواقعة في العراق، وكانوا عرباً من بكر بن وائل، يعتنقون الديانة المسيحية، فقتلوا الكثير منهم، قُدر عددهم سبعون ألفاً.

وبعد انتهاء المعركة، قام خالد في الناس خطيباً، ثم خَمَسَ الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين المقاتلين، وبعث الخُمس إلى الخليفة، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، النساء والأطفال، وأقرّ الفلاحين بالجزية.

فاجتمع العرب في تلك المناطق من قبائل عجل وتيم اللات وضيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ليثأروا لقتلاهم وللدفاع عن مدنهم من غزو المسلمين!

فاستعانوا بكسرى وطلبوا منه الإمدادات، فالتقا الجيشان في موضع يقال له أليس على نهر الفرات (بالقرب من مدينة النجف العراقية) فاقتتلوا قتالاً شديداً. وقال خالد: اللهم لك عليّ إنْ منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً أقدر عليه، حتى أجري نهرهم بدماءهم، فتمكن المسلمون منهم، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً (أسرى).

وقد وُكِّلَ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، ويطلبهم في الغد ومن بعد الغد، وكلما حضر منهم أحد ضُربت عنقه في النهر! فسال النهر دماً عبيطاً (دماً طرياً). فسمّي نهر الدم! وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً وقيل مئة وخمسين ألفاً.

وكان أكثر من قُتل في هذه المعركة من بلد يقال لها أمغيشيا، فأمر خالد بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنماً عظيماً، فقسّم بين الغانمين، فأصاب الفارس ألف وخمسمئة غير ما تهيأ له مما قبله.

وبعث خالد بالخُمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل، فلما بلغ الخليفة الرسالة وسلّم الغنائم، أثنى عليه أبو بكر وأجازه من السبي، وقال خليفة المسلمين مفتخراً: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد!

ويذكر المؤرخ ابن كثير متبجحاً بجرائم خالد من قتل وذبح وسلب ونهب قائلاً: وكان خالد لا يكلّ ولا يملّ ولا يحزن، بل كلما له في قوةٍ وصرامةٍ وشدةٍ وشهامةٍ، ومثل هذا إنما خلقه الله عزّاً للإسلام وأهله، وذلاً للكفر وشتات شملهم! فأى رأي، وأى منطق هذا الذي يتحدث به المؤرخ المسلم، وكأنّ هدف الله من خلق البشر هو قتل الناس وذبحهم، وسلب أموالهم، ونهب بيوتهم، واعتصاب نساءهم، واستعباد أطفالهم!

ثم سار خالد فنزل الخورنق والسدير بالنجف (وهما قصران في منطقة الحيرة) وبث سراياه هاهنا وهاهنا، يحاصرون الحصون من الحيرة، ويسترقون أهلها قسراً وقهراً، وصلحاً ويسراً، فتمكن خالد بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك البلدان، وأوقع بأهل أليس والثني ما أوقع من القتل الفظيع!

بعدها وافق أهل الحيرة مضطرين أن يدفعوا الجزية، ليحافظوا على مَن تبقى منهم، فصالحهم خالد على مائة وتسعين ألف، وقيل مئتين وتسعين ألف، وأهدوا له هدايا، فبعث بالأموال والهدايا إلى خليفة المسلمين أبي بكر!

فقبل أبو بكر الأموال والهدايا، وكتب لخالد أن يأخذ منهم بقية الجزية. فأتته الدهاقين من كل النواحي (الدهاقين: رؤساء القرى والتجار) فصالحهم خالد على ألف ألف وقيل ألفي ألف، وأقام خالد وجيشه بالحيرة، أي تم احتلال المملكة والاستيلاء عليها بالكامل، أرضاً وشعباً وأموالاً!

فهكذا قُتل الناس، وذُبِح القوم، وسُلبت بيوتهم، وأُحتلت أراضيهم، ونُهبت أموالهم، وأُرسلت إلى الخليفة! فصار جنوب العراق كله تقريباً مُحْتلّاً من قبل الجيوش الإسلامية الغازية! هكذا كانت الشعوب تُظلم ويُعتدى عليها من قبل خير أمة أخرجت للناس!

فبالرغم من كل هذا الإجرام، من قتل الأسرى، وضرب أعناق الناس، والسلب والنهب، والتخريب والتدمير، والسبي والاغتصاب! ما زال البعض اليوم سعيداً جداً بهذه الغزوات، مفتخراً بها، متبجحاً بصفاقة، متباهياً بوقاحة، وضميره مرتاح، هذا إن كان هناك ضمير!

واليوم يدافع العراقيون عن الإسلام بكل جوارحهم وقواهم، ويجاهدون ويقارعون، ويتقاتلون فيما بينهم، سنة وشيعة، ولا يعلمون هؤلاء المساكين إنَّ المسلمين هم الذين اغتصبوا أرضهم، وقتلوا أجدادهم، ونهبوا ثرواتهم، وسلبوا بيوتهم، وخرَّبوا، وهدَّموا، وأتلفوا، وأفسدوا، ودمَّروا، وحطَّموا، ولم يدركوا لحد الآن، أنَّ أجدادهم الذين بقوا على قيد الحياة لم يدخلوا الإسلام إلا والسيوف على رقابهم!

بعد كل هذا الظلم والجور، والتعذيب والتعسف، والضييم والطغيان، مازال البعض يتبجح بأفعال خالد وأوامر أبي بكر وما صنعه الصحابة من سلب ونهب، فيخرج علينا بين الحين والآخر أحد هؤلاء من كهفه، ويكلمنا عن الإنسانية والعدل والرحمة وعدم الاعتداء! وهو لا يعلم أنَّ الصحابة الأجلاء

جعلوا مياه النهر أحمرّاً من كثرة الدماء، وأطلقوا عليه بكل صفاقة ووقاحة
اسم نهر الدم!

المصادر :

كتاب البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء السابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/
دمشق - بيروت.
كتاب الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت
- لبنان.
كتاب الفتوح/ ابن أعثم الكوفي/ الجزء الاول/ الطبعة الأولى 1991/ دار الأضواء
للطباعة/ بيروت-لبنان.
كتاب تاريخ الطبري/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1967/
دار المعارف/ مصر

ثقافة قطع الرقاب

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، صحابي وفقهه ومُقرئ ومُحدِّث، وأحد رواة الحديث، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقرأة القرآن في مكة، وقد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر بن الخطاب وصدر من خلافة عثمان بن عفان.

وكان عبد الله بن مسعود يخدم النبي محمد، فكان يُلبس النبي نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه، نزع نعليه، فأدخلهما عبد الله في ذراعيه، وأعطاه العصا، وكان هو الذي يستر النبي إذا اغتسل، ويوقضه إذا نام، ويؤنسه إذا مشي! وأوصى ابن مسعود قبل وفاته أن يُكفَّن في حُلَّةٍ بمائتي درهم، وترك بعد أن توفي تسعين ألف درهم!

في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، تقابل كلٌّ من مُعَاذ بن عمرو بن الجموح وأبي الحكم المعروف بأبي جهل، فقال معاذ: فجعلته من شأني، فلما أمكنني حملتُ عليه، فضربته ضربةً أطنت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة، فطرح يدي من عاتقي، فتعلقتُ بجلدة من جثتي!

ثم مرَّ بأبي جهل مُعوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبتته، وتركه وبه رمق، ثم مرَّ به عبد الله بن مسعود، وقد أمر النبي محمد أن يُلتمس في القتلى، فوجده بآخر رمق فعرفه، فوضع ابن مسعود رجله على عنق أبي الحكم وقال: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ فقال أبو الحكم: أخبرني لمن الدائرة؟ ويعني بذلك، مَنْ أنتصر؟ ثم قال: لقد ارتقيت يارُويعي الغنم مُرتقىً صعباً!

فقال ابن مسعود: إني قاتلك. فأجاب: ما أنت بأول عبدٍ قتل سيِّدهُ، فضربه عبد الله، واحتز رأسه، فوقع رأسه بين رجليه، فحمله إلى النبي محمد،

قائلاً: هذا رأس عدو الله، ثم ألقى الرأس بين يدي زعيم الأمة، فحمد الله، وسجد النبي شُكراً لله!

خاتم الأنبياء، وخير البشر، ورسول الإنسانية، الذي أرسل رحمة للعالمين، يحمّدُ الله وبين يديه رأسٌ مقطوعٌ مضرّجٌ بالدماء! صاحب المقام المحمود وصحابته يحتزون الرؤوس، ويضربون الرقاب، ويُمزقون الأشلاء، وييقرون البطون!

هذه هي ثقافة قطع الرؤوس، وشريعة تمزيق الأشلاء، وهذا هو فقه ضرب الرقاب، وتاريخ السيرة الدموي، وهذه هي سماتُ الدين، وأركان الإسلام! فهل نحنُ فعلاً قرأنا التاريخ، وتصفحنا أسفاره، وبحثنا أحداثه، وفتشنا وثائقه! أم تم خداعنا، وتضليلنا، فقالوا كذباً وتزويراً، وكتبوا إفكاً وتزييفاً. فلا بد أن نتوقف عن السير وراءهم كالقطيع، كالذي أغمض عينيه، وأطبق جفنيه، نائماً، هاجعاً، راقداً.

فهذا ما فعله الصحابة أيها السادة، وهذا ما صنعه نبي الرحمة أيها القوم! وما زال البعض مخدوعاً، يسأل مُتحيراً، ويستعلم متريداً، ويستفهم متشككاً: من أين أتت داعش!

داعش هي الصورة الحقيقية لما فعله ابن مسعود وصحابة نبينا، داعش أعادت تصوير التاريخ مجسماً، ملوناً، فبدأ التاريخ واضحاً صارخاً، وساطعاً أبلجاً، فكشّف المستور، وفُضح المكتوم!

المصادر :

السيرة النبوية/ ابن هشام/ المجلد الأول/ الطبعة الأولى 1995/ دار الصحابة للتراث/ طنطا
الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/
دار المعارف/ مصر.
سير أعلام النبلاء/ شمس الدين الذهبي/ الجزء الأول/ الطبعة الحادية عشرة 1996/
مؤسسة الرسالة للطباعة/ بيروت.
الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثالث/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي/
القاهرة.

الجزية.. وظلم واضطهاد الشعوب

يقول القاضي أبو يوسف في كتابه "الخراج" : الجزية واجبة على جميع أهل الذمة، من اليهود والنصارى "المسيحيين" والمجوس والصابئين والسامرة، وإما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان: على الموسر ثمانية وأربعون درهماً، وعلى الوسط أربعة وعشرون، وعلى العامل بيده اثنا عشر درهماً، يؤخذ ذاك منهم في كل سنة.

وَمَنْ لَمْ يَدْفَعْ الْجَزِيَّةَ يُحْبَسَ حَتَّى يُوَدِّيَ مَا عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُجَ مِنَ الْحَبْسِ تَسْتَوْفِي مِنْهُ الْجَزِيَّةَ. وَلَا يَحِلُّ لِلْوَالِي أَنْ يَدَعَ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ وَالسَّامِرَةِ إِلَّا أَخَذَ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ، لِأَنَّهُمْ دُمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِنْما أُحْرِزَتْ بِأَدَاءِ الْجَزِيَّةِ.

فقد مرَّ سعيد بن زيد على قومٍ قد أُقيموا في الشمس في بعض أرض الشام، فقال ما شأن هؤلاء؟ ف قيل له أُقيموا في الشمس من أجل الجزية! أي تم تعذيبهم بحرارة الشمس الحارقة حتي يؤدوا ما عليهم ويدفعوا الجزية!

وقد مرَّ عمر بن الخطاب أيضاً، وهو راجع في مسيره من الشام، على قومٍ قد أُقيموا في الشمس يُصبُّ على رؤوسهم الزيت! فقال: ما بال هؤلاء؟ فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يُعذبون حتى يؤدوها. فقال عمر: فما يقولون وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجد، قال: فدعوهم وأمر بهم وخلي سبيلهم!

خَلَّى سَبِيلَهُمْ لِأَنَّ عَمْرَ قَدْ شَاهَدَهُمْ بِالصَّدْفَةِ، بَعْدَ أَنْ عَذَّبُوا، وَنُكِّلُوا،
وَأَوْجَعُوا ضَرْبًا، وَأَحْرَقُوا بِالزَّيْتِ! فَمَا مَصِيرَ الْآلَافِ الَّذِينَ لَمْ يَشَاهَدَهُمْ عَمْرُ؟
مَصِيرَهُمُ الشَّمْسُ الْحَارِقَةُ الْمُلْتَهَبَةُ، وَالزَّيْتُ السَّاخِنُ الْمُتَوَقَّدُ!

هَكَذَا كَانَ يُعَذَّبُ مَنْ لَمْ يَدْفَعْ الْجَزِيَّةَ! هَذِهِ هِيَ شَرَائِعُ اللَّهِ! وَهَذِهِ هِيَ
أَحْكَامُ السَّمَاءِ! وَهَذِهِ هِيَ قَوَانِينُ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ، الَّتِي سَطَّرَتْ فِي بَطُونِ
الْكَتَبِ الَّتِي لَمْ يَتَصَفَحْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَكُفِّتِ الْحَقِيقَةُ وَدُفِنَتْ، وَكُتِمَتْ
الْأَسْرَارُ وَطُمِرَتْ، وَأُخْفِيَتِ الْأَخْبَارُ وَطُمِسَتْ، فَهَلْ هَذِهِ سَمَاحَةُ الْإِسْلَامِ
وَمَرْوَعَتُهُ، وَتُبِّلَ الدِّينَ وَجُودُهُ، أَمْ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ، وَالْقِسْطُ
وَالرَّحْمَةُ!

بَلْ هَذَا مَا هُوَ إِلَّا إِجْحَافٌ وَإِسْتِبْدَادٌ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَإِضْطِهَادٌ وَتَعَسُفٌ،
وَجَوْرٌ وَطَغْيَانٌ، وَظُلْمٌ وَحَيْفٌ! فَايْنَ ضَمَائِرُكُمْ؟ فَلَا تَأْنِيْبُ ضَمِيرٌ، وَلَا عَذَابُ
ضَمِيرٍ، وَلَا وَخْزُ ضَمِيرٍ! إِلَى مَتَى يَبْقَى الشَّرْفَاءُ وَالْأَخْيَارُ صَامِتِينَ؟

المصدر :

كتاب الخراج/ القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم/ طُبِعَ عام 1979/ دار المعرفة
للطباعة والنشر/ بيروت - لبنان.

بعد موت الصادق الأمين

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ولد في مكة عام الفيل 571 للميلاد (53 قبل الهجرة). نبي الإسلام، ورسول الله، وخاتم الأنبياء، ويؤمن المسلمون أن الوحي نزل عليه، وأنه أشرف المخلوقات وسيد البشر، ويعتقدون فيه العصمة.

ولد يتيماً، فمات أبوه وأمه آمنة بنت وهب حامل به، فتربى في كنف جده عبد المطلب، ثم من بعده عمه أبي طالب، فعمل في الرعي ثم التجارة، تزوج من خديجة بنت خويلد، هاجر إلى مدينة يثرب عام 622 للميلاد، وهو في الثالثة والخمسين من عمره، قام بتوحيد العرب على ديانة واحدة، توفي عام 632 للميلاد (11 للهجرة).

قبل أن تُؤارى جثته، بدأ التنازع على السلطة والزعامة والمُلْك، وعلى الرئاسة والقيادة والحُكم! والجميع يعلم ما حدث في السقيفة من مشادة وهرج، وتوتر وخصومة، وعداوة ومشاجرة، ونزاع وإشتباك! فقال عمر بن الخطاب إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها!

وبعد أن دُفنت الجثة ارتد أغلب عرب الجزيرة! ونشبت المعارك، وحمي الوطيس، وقامت الحرب على ساق بين الصحابة العدول "حروب الردة" وقُطعت الرؤوس وبُقرت البطون وتناثرت الأشلأ وأضحى الناس جثثاً هامدة!

وبعض الرويات تذكر أن الخليفة "الراشدي" الأول قُتل مسموماً، فيا ترى لماذا سقى المسلمون خليفتهم سُمّاً؟ لماذا تخلص الصحابة منه بعد فترة

قصيرة من حكمه؟ قُتل المُبشّر بالجنة ووالد أم المؤمنين وخليفة خاتم الأنبياء!

بعدها استلم الخليفة "الراشدي" الثاني الحكم والسلطة، وقد أخبرونا أنه كان عادلاً منصفاً، رحيماً مُقسطاً، ف قيل له "حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فمنتَ"! والحقيقة أنه لم ينم ولم يرى الأمان، فقد قُتل بخنجرٍ مسمومٍ من قبل أحد العبيد الذين تم إستعبادهم من قبل عمر والمسلمين!

وفي عهد عثمان، ثار الصحابة عليه، بعد أن إشتد غضبهم وحنقهم وسخطهم، وإمتعضوا من حكمه، فصب الناس حقدهم وبُغضهم عليه، ودخلوا دار الخلافة وطعنوه بالسيوف والخناجر، فمزَّق تمزيقاً، وقُطع إرباً إرباً. ولم تُدفن جثته في مقابر المسلمين! وبهذا مات الخليفة "الراشدي" الثالث وأحد المبشرين بالجنة وذو النورين!

وفي عهد عليٍّ إندلعت معركة الجمل بين أمير المؤمنين وأم المؤمنين، وقُتل فيها المبشرون بالجنة "طلحة والزبير" بالإضافة إلى أكثر من ثمانية عشر ألف مسلم!

بعدها دارت الحرب في صفين، وهذه المرة بين علي ومعاوية، فإستعرت، وإشتدت، وإحتدمت، فقُتل الناس، ودُبح المسلمون، وتناثرت الأشلأ، وكانت الضحايا أكثر من سبعين ألف مسلم!

ثم قُتل الخليفة الرابع وآخر الخلفاء "الراشدين" بضربة سيفٍ على رأسه، من قبل أحد المسلمين الحافظين للقرآن! مات ابن عم الرسول، وزوج ابنته، وأقرب المقربين، لقد قتل المسلمون رجلاً يدور الحق معه حيث دار!

بعدها قُتل ابن أمير المؤمنين، الحسن بن علي "سيد شباب أهل الجنة" وأحد سبطي "رسول الله" ومن أهل الكساء! فقد دُس السم إليه في الأكل من قبل زوجته بأمر من الخليفة معاوية! فها هم الصحابة يقتلون بعضهم بعضاً. إنها العداوة والبغضاء، والكُره والخصام، والمُقت والضغينة!

وفي معركة الطف عام 61 للهجرة، قتل المسلمون أغلب أهل "بيت النبي" وقُطع رأس الحسين بن علي ورؤوس أولاده وأصحابه، وقد داست الخيل على جثثهم، ومزقتها السيوف والخناجر، وسُبيت نساءهم، وحُمِلت رؤوسهم على الرماح إلى دمشق "عاصمة الخلافة"!

وفي عام 63 للهجرة، قام خليفة المسلمين "يزيد بن معاوية" بغزو مدينة يثرب "المدينة المنورة"، وأمر بتخريبها وقتل الكثير من الصحابة وابناءهم واغتصاب نساءهم!

وفي عام 73 للهجرة، اجتاح الخليفة عبد الملك بن مروان مكة، ونصب الحجاج بن يوسف الثقفي المنجنيق، فأحرق الكعبة وهدمها، وقتل أهلها الآمنين! وتم قطع رأس الخليفة عبد الله بن الزبير وصلبه وتعليق جثته لسنوات!

وبعد أن استلم العباسيون السلطة، قاموا بقتل وإستئصال الأمويين وأبادوهم عن بكرة أبيهم، ونبشوا قبورهم، وقطعوا جثثهم وأحرقوها، ولاحقوا كل من كان حياً منهم وذبحوه بدم بارد، وطافت الرؤوس في البلاد!

هذا ما فعله المسلمون بأنفسهم، وما زالوا يذبحون بعضهم بعضاً! واليوم يدعون إن القتال فيما بينهم وسبب مشاكلهم، ما هو إلا مؤامرة يحوكها العالم ضدهم!

المصادر:

كتاب الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان
كتاب السيرة النبوية/ ابن هشام/ الطبعة الأولى 1995/ دار الصحابة للتراث/ طنطا
كتاب البداية والنهاية/ ابن كثير/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق -
بيروت.

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي/ القاهرة.
كتاب تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الطبعة الثانية 1967/ دار
المعارف/ مصر.

النبى وحصون خير

تبعد خير أكثر من مئة وخمسين كيلو متراً عن المدينة "يثرب"، وتعتبر ولا تزال منذ أقدم العصور واحة واسعة ذات تربة خصبة معطاءة، وذات عيون ومياه غزيرة، وتربتها تربة جيدة للغاية تصلح لزراعة الحبوب والفواكه على اختلاف أنواعها، كما أنها تعتبر من أكبر واحات النخيل في جزيرة العرب، ويكفي لصحة هذا القول أن المسلمين احصوا من النخيل الموجود بالنطاه فقط (وهو أحد أودية خير الكبيرة) فوجدوا بها أربعين ألف نخلة.

في شهر محرم من عام سبعة للهجرة، أمر النبي محمد أصحابه بالتهيؤ لغزو أهل خير، وتجلّب من حوله يغزون معه، فنزل بين أهل خير وبين غطفان بواذٍ يقال له الرجيع. فهجم على خير ليلاً من دون علم أهلها، فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم فلما رأوه قالوا: محمدٌ والخميس "الجيش" فعادوا هاربين حتى رجعوا إلى حصونهم، فقال زعيم الأمة ونبي الرحمة: الله أكبر، خُربت خير!

فبدأ سيد الخلق باحتلال حصون خير حصناً حصناً، وأخذ الأموال مالاً مالاً! وكانت حصون اليهود فيها الطعام والودك والماشية والمتاع، فكان أول حصونهم التي دخلها حصن ناعم، ثم القموص، وأصاب منهم سبايا. وفشت السبايا من خير وقُسمت بين المسلمين، وهرب الكثير من اليهود، أطفالهم ونسائهم!

وصعد المسلمون على أحد الحصون وهم يُكَبِّرون، فيقول أحدهم: لقد وجدنا والله من الأطعمة ما لم نظن أنه هناك، من الشعير، والتمر، والسمن، والعسل، والزيت. وكان أبو ثعلبة الخشني يقول: وجدنا فيه أنية من نحاس وفَخَّار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب.

وأخرج المسلمون من تلك الحصون غنماً كثيراً، وبقراً وحُمراً، وأخرجوا منها آلة كثيرة للحرب، ومنجنيقاً، ودبابات وعُدّة. ووجدوا كذلك من البز عشرين عِكماً (ثوب يُبَسِّط ويجعل فيه المتاع ويُشَد) محزومةً من غليظ متاع اليمن، وألف وخمسمائة قطيفة، وعشرة أحمال خشب، فأخرج من الحصن ثم أُحرق، فمكث أياماً يحترق!

وكان من ضمن السبايا، صفية بنت حيي بن أخطب (ابنة زعيم خيبر) وهي زوجة كنانة بن الربيع، فتم ذبح زوجها، واصطفى أشرف الخلق وسيد البشر صفية لنفسه، وتم اغتصابها في طريق العودة إلى مدينة يثرب! وقد وهب النبي ابنة عمها إلى أحد مساعديه، وهو دحية الكلبي!

ذلك الرجل الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق شَنَّ غزوةً على أهل خيبر، فقام بقطع الرؤوس وبقر البطون وتمزيق الأشلاء! واستمر أصحابه الأجلاء بطعن الناس بالخناجر، وضرب الأبرياء بالسيوف، ورمي المساكين بالرماح! ثم بدأ الصحابة الأخيار الشرفاء بسلب الأموال ونهب البيوت واغتصاب النساء!

عندما يقرأ المسلم هذه الأحداث التاريخية في كتبه، التي كُتِبَتْ بأيادي مؤرخين مسلمين، ويرى هذا الإجحاف والإضطهاد والاستبداد، ويقرأ كل هذا العدوان والتعسف والجور، ويستشف كل هذا القهر والظلم والاعتصاب، ماذا تكون ردة فعله يا تُرى؟

أي إنسان لديه ذرة من الأخلاق، يقرأ أنَّ مجرمًا قد غزا ونهب وسلب، واغتصب امرأة متزوجة، وقسّم النساء بين المسلمين لاغتصابهن! لابد أن يستنكر هذه الأعمال التي لا تمت للأخلاق بصلة!

لماذا غزا محمد الأراضي؟ لماذا قتل وذبح محمد الأبرياء؟ لماذا نهب وسلب محمد الأموال؟ لماذا سبى واغتصب محمد النساء؟ لماذا استعبد وباع محمد

الأطفال؟ لماذا كل هذه الجلافة والفظاظة، والسوقيّة والهمجيّة؟ لماذا كل هذا العنف والفتك، والقسوة والجهامة؟ هل لسؤالي من مجيب يا تُرى؟

المصادر:

كتاب المغازي/ محمد بن عمر الواقدي/ الجزء الثاني/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ لبنان - بيروت.

كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

كعب بن الأشرف

كعب بن الأشرف، شاعر من بني النضير، وقيل كان أبوه من طيء وأمه من يهود بني النضير. بعد غزوة بدر، وقتل الكثير من زعماء قريش، قال كعب بن الأشرف حين بلغه الخبر: أحقُّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء! فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها.

الاغتيال هو إحدى الوسائل التي أُستُخدمت من قبل النبي محمد للقضاء على معارضيه، فقال يوماً: من لي بابن الأشرف؟ وكان يقصدُ كعب بن الأشرف، زعيم يهود بني قريظة! فقال محمد بن مسلمة: أنا به يا رسول الله، أنا أقتله! فقال خاتم النبیین وصاحب المقام المحمود: فافعل!

فاجتمع محمد بن مسلمة ونفرٌ من الأوس ومنهم أبو نائلة، وانطلقوا إليه، فجلسوا وتكلموا معه، فقد تم خداعه ولم يكن يشك بهم لأن محمد بن مسلمة وأبي نائلة كانا أخويه من الرضاعة!

فقال له أبو نائلة ويحك، ما أطيب عطرك هذا يا ابن الأشرف! وكان ابن الأشرف جعداً جميلاً، فسلسلت يدا أبي نائلة في شعر ابن الأشرف وأخذ بقرون رأسه، وقال لأصحابه: اقتلوا عدو الله، فضربوه باسيافهم!

وقال محمد بن مسلمة: فذكرتُ مغولاً معي (حديدة دقيقة لها حد ماضٍ) كان في سيفي فانتزعته فوضعتَه في سُرَّتِه، ثم تحاملت عليه فقططته حتى انتهى إلى عانته، فصاح عدو الله صيحة ما بقي أطم (حصن) من آطام اليهود إلا قد أوقدتُ عليه ناراً.

فلما فرغوا منه احتزوا رأسه ثم حملوه معهم، وقد أُصيب أحد أصحابهم (الحارث بن أوس) حينما كانوا يضربون ابن الأشرف بسيوفهم! فحينما بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وكان الحبيب المصطفى وإمام المتقين يصلي، فلما سمع تكبيرهم، كبر وعرف أنهم قد قتلوه!

وحينما وصلوا وجدوا خير البشر وحبيب الله واقفاً على باب المسجد، فقال: أفلحت الوجوه! فقالوا: ووجهك يا رسول الله! ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله!

ما أعظمك يا رسول الله! فحينما يقرأ المسلم هذه الكلمات المطرزة بالذهب، والعبارات الساحرة، بلسانٍ فصيح، وجُمْلٍ بليغة "ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله!" ماذا يكون ردة فعله؟ هل سيتحرك ضميره وينتفض؟ أم إنَّ الضمير نائمٌ في سباتٍ عميق؟ صاحب الشفاعة وسيد المرسلين يحمد الله على الرأس المقطوع والمضرج بالدماء الذي وُضع بين يديه!

هل لنا أن نتأمل هذه الأحداث الفظيعة، ونتقصي الأعمال الشنيعة، ونبحث ونتدبر، ونحقق ونتبصر! فالواجب علينا أن نديم النظر في أسفار التاريخ، ونقرأ ونتصفح الكتب، ونطالع ونبحث عن الحقائق، الحقائق التي دُفنت عمداً، وطُمِرت قصداً، وحُجبت قسراً، وأُخفيت قهراً.

لماذا قُتل ابن الأشرف؟ لماذا ضُرب بالسيوف؟ لماذا مُرقت أشلاؤه؟ لماذا قُطع رأسه؟ لماذا يأمر نبي الرحمة بهكذا أعمال إجرامية؟ اغتيال زعماء القبائل، وقتل شيوخها، وغدر شرفائها، هل عمليات الاغتيال والقتل والغدر من أخلاق الأنبياء؟ أم إنها من سمات الرسل القادمين من السماء!

فلا بُدُّ لنا أن نُعيد النظر فيما كُتِبَ، وفيما قُرِأَ، ونستنتج الحقائق، ونستنبط النتائج، لا بُدُّ لنا أن نفهم ونتفكر، لا أن نسير كالقطيع، وغمشي كالغنم والمواشي، فلنا عقولٌ نُفَكِّرُ، ولنا عيونٌ تَرى، وآذانٌ تسمع، فلنستخدم عقولنا أيها الناس، هذه العقول التي بنت الحضارات، وتقدمتْ بالأدب والفنون، وإزدهرتْ بالعلم والمنطق، وأنتجت الطائرات والصواريخ، وأوصلتْ الإنسان إلى القمر، وصنعتْ التكنولوجيا المتطورة، وطورتْ الحياة والمجتمع.

فهل تعجز هذه العقول على فهم الأحداث، وتمييز الصالح من الطالح، وإدراك حقيقة الأمر، ومعرفة اليقين، وإستيعاب ما حدث فعلاً، وإستخلاص ما خُفي حقاً. فالعقول قد نضجتْ، والأفكار قد اتسعتْ، فازدادَ الإنسان ثقافةً وخبرةً ودرايةً، وتضاعفَ وعياً وعِلماً وإلماماً.

المصدر:

المغازي/ محمد بن عمر الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ ابن الجوزي/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1995/ دار الكتب العلمية/ بيروت-لبنان.

مالك بن نويرة وخالد بن الوليد

أبو حنظلة، مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، كان يُلقَّب بالجفول لكثرة شعره، وكان شاعراً معدوداً في فرسان بني يربوع وأشrafهم، وصاحب شرف رفيع بين العرب، حتى ضُرب به المثل في الشجاعة والكرم والمبادرة إلى إسداء المعروف والأخذ بالملهوف.

كانت له الكلمة النافذة في قبيلته، حتى أنه لما أسلم ورجع إلى قبيلته وأخبرهم بإسلامه، أسلموا على يديه جميعاً، ولم يتخلف منهم رجل واحد. وكان قد نال منزلة رفيعة لدى النبي محمد، حتى نصَّبه وكيلاً عنه في قبض زكاة وصدقات قومه كلها.

بعد موت النبي محمد، قام أبو بكر بن أبي قُحافة، خليفة المسلمين المُعظَّم، بإرسال خالد بن الوليد لقتال القبائل العربية التي ارتدَّت وتركَّت الإسلام، فضرب خالد عسكره بأرض بني تميم، وبثَّ السرايا في البلاد يمنة ويسرة!

فوقعتْ سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة فإذا هو في بستان له ومعه امرأته وجماعة من بني عمه، فلم يرع مالك إلا والخيل قد أهدقتْ به فأخذوه أسيراً وكل من كان من بني عمه، وأخذوا امرأته معه وكانت بها مسحة من جمال!

فأتوا بهم إلى خالد، فأمر في البداية بضرب أعناق بني عمه! فقال القوم: إنا مسلمون فعلى ماذا تأمر بقتلنا؟ فقال خالد: والله لأقتلنكم! فقدّمهم فضرب أعناقهم عن آخرهم!

ثم قدّم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: أقتلني وأنا مسلم! فقال خالد: لو كنت مسلماً لما منعت الزكاة! فالتفت مالك إلى امرأته فنظر

إليها ثم قال: يا خالد، بهذه تقتلني؟ فقال خالد: بل الله قتلَكَ برجوعك عن دين الإسلام، ومنعك إبل الصدقة! ثم قدّمه خالد فضربَ عنقه صبراً. وتزوج خالد امرأة مالك ودخل بها.

بعدها أمر خالد برأس مالك بن نويرة فجُعِلَ مع حجرين وطبخَ على الثلاث قدراً، فأكل منها خالد تلك الليلة ليُرهب بذلك الأعراب! ويقال إن شَعْر مالك جعلت النار تعملُ فيه إلى أن نضج لحمُ القدر ولم تفرغ الشعر لكثرتِه!

الحقيقة لم أرى، ولم أسمع، ولم أقرأ إجراماً مثل هذا الإجرام الذي قام به "سيف الله"! يقطع رؤوس الناس بالرغم من إنهم مسلمون! ويطبخ الأكل على هذه الرؤوس المقطوعة والمضرجة بالدماء، ثم ينزو على امرأة القتيل كما قال عمر بن الخطاب!

ولو افترضنا أنهم تركوا الإسلام وارتدوا، فهل يُذبح من ترك ديناً أو عقيدة؟! وهل تُقطع رأس مَنْ يرفض فكرة ما؟! وهل تُضربُ عُنق مَنْ إستنكر شريعة الغزو والاغتصاب؟! وما زال البعض يتبجح بكل صفاقة وجه، ووقاحة عين، بكرم الإسلام، وسماحة الدين، ودمائة العقيدة، ونُبل الشريعة، وينعق صادحاً "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"!

سفاهةٌ ووقاحةٌ وقلة أدب وحياء، واجترأ على فعل واقتراف القبائح والجرائم والذنوب! أي مِلة هذه، وأي شريعة تلك! وبعد كل هذا يخرج علينا أحد المُغَيَّبِينَ المُغْفَلِينَ، مستيقظاً من سباته، مُستفيقاً من غيبوبته، مُدّعياً أن داعش لا تُمثل الإسلام!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء السابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.

الفتوح/ ابن أعثم الكوفي/ الجزء الاول/ الطبعة الأولى 1991/ دار الأضواء للطباعة/
بيروت-لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء الثالث/ الطبعة الثانية 1967/
دار المعارف/ مصر.

التاريخ الأسود الغريب

في عام 104 هجرية وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، غزا الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد الخزر من أرمينية، فبث سراياه في النهب والغارة على ما يجاوره، فغنموا وعادوا إليه.

ثم التقى المسلمون والخزر "أهل الأرض" عند نهر الزاب، واقتتلوا قتالاً شديداً، فتناجزوا، وتواقعوا، واشتد القتال فهزم المسلمون الخزر، واتبعوهم يقتلون ويأسرون، فقتل منهم خلق كثير، وأسروا رقيقاً كثيراً جداً، وأخذوا أموالاً جزيلاً، وغنم المسلمون جميع ما معهم، سلاحهم، خيولهم، إبلهم، أموالهم، متاعهم!

ثم سار قائد الجيش إلى أرض الترك، والتحم القتال واشتد، وعظم الأمر على الجميع، حتى بلغت القلوب الحناجر، فاحتل الجراح بن عبد الله حصن بلنجر، وهزم الترك وغرقهم وذراريهم في الماء! وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتل فيها خلقٌ كثيرٌ لا يُحصون، وسبى منهم خلقاً كثيراً، وأجلى عامة أهلها، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً.

هذا هو التاريخ الأسود باحداثه، والأحمر بدمائه، صفحاته مُضرجة بالدماء، وجُمْلُهُ مُلَطَّخَةٌ بالعار. فلو تفحصنا العبارة التي نقلها لنا المؤرخون "وغرقهم وذراريهم في الماء" أي تم إغراق الأطفال والنساء! فإني لا أجد وصفاً لهذا الفعل إلا أنه إجحافٌ وجور، وظلمٌ وإستبداد، وإنحطاطٌ وخسة، ودناءةٌ ورذالة!

والمصيبة الكبرى، لم ينبس المسلم ببنت شفة، ولم يعترض على هذا الإجرام! ولا حتى القادة ولا الامراء ولا الخليفة! فأين الرحمة التي يتغنى بها كهنة

الدين؟ وأين العدل الذي يتبجح به لصوص المعابد؟ وأين الإحسان الذي يتفاخر به الجهلة؟

والسؤال الذي حيرني وأثار دهشتي، هو أن مدينة بلنجر تقع في ولاية داغستان، وهي جزء من روسيا اليوم، فهل كان احتلال هذه الأرض وقتل أهلها وسبي نساءها وإغراق أطفالها دفاعاً عن النفس؟ كما يتبجح بذلك البعض ليل نهار!

أم يمكن لنا اعتبار ما فعله السلف الصالح ما هو إلا لصوعية وبلطجة، وسطو وإستلاب، وعملية سلب ونهب وإحتلال أرض، وقطع رؤوس، وتقطيع أشلاء، وإسترقاق أطفال، وسبي نساء؟

أتمنى أن نحكم على تاريخ الأجداد بضمير حي، وبصدق وإنصاف، وعدل وإستقامة، وألا نكون فاقدي الضمير، معدومي الضمير، ندافع عن القتلة المجرمين، سافكي الدماء، قاطعي الرؤوس، سارقي الأموال، مغتصبي النساء!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء العاشر/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق - بيروت.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الرابع/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ محمد بن جرير الطبري/ الجزء السابع/ الطبعة الثانية 1967/
دار المعارف/ مصر.

ثقافة حرق البشر

في عام 11 للهجرة، ارتد عن الإسلام اياس بن عبد الله المعروف بالفجاءة، فبعث خليفة المسلمين "أبو بكر" وراءه جيشاً، وتم أسره، فجمعت يداه إلى قفاه، فأمر أبو بكر فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطبٍ كثير، ثم رمى به فيها مقموطاً.

وفي عام 38 للهجرة، أرسل معاوية عامله عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة ليستولي عليها، حيث كانت تابعة لعلي بن أبي طالب، فبعث عليّ إلى البصرة الكثير من الرجال يقودهم جارية بن قدامة، ولما وصلوا البصرة تحصن ابن الحضرمي في دارٍ مع سبعين رجلاً من أصحابه، فأحرق عليهم جارية الدار وأحرقهم فيها جميعاً.

وفي عام 40 للهجرة، بعث الحسن بن علي إلى عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب، فأخرجه من السجن ليقتله، فأجتمع الناس وقرروا أن يحرقوه، فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن علي ومحمد بن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، ثم كحل عينيه بمسمارٍ مُحَمَّى، ثم قطعوا لسانه! ثم جعلوه في قوصرة وأحرقوه بالنار!

وفي عام 66 هجرية، بعث المختار الثقفي رجاله إلى بيت زيد بن رقاد، فاقتحم الرجال عليه البيت، فخرج مصلاً بسيفه، فرموه بالنبل ورجموه بالحجارة، فسقط وأخرجوه وبه رمق، فدعوا بنارٍ وأحرقوه وهو حي!

وفي عام 119 هجرية، قبض خالد بن عبد الله القسري أمير العراق على بعض الخوارج وعلى رأسهم الوزير السخثياني فحبسهم، فأرسل إليه الخليفة هشام بن عبد الملك وأمره بقتله واحرقه، فأخذ وأصحابه إلى جامع الكوفة، وأدخلت أطنان القصب فشدوا فيها، ورموا بالنيران فاضطربوا وجزعوا الا زعيمهم، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

حينما نقرأ هذه الحوادث في تاريخنا المُخجل، وماضينا المؤلم، وكُتبتنا القبيحة، ونجد أن أسفار التاريخ قد طُرزت بهذه الجرائم البشعة، وخطت صفحاتها بحرق الناس وهم أحياء! لابد لنا أن نقع في حيرة ودهشة، ونحس بارتباك واختلاط! ولابد لنا أن نُظهر استحياءً واحتشاماً! ونضطربُ خجلاً وحياءاً!

لكن ما اراه عكس ما أتوقعه! فلا اختلاخ ولا تزعزع، ولا ترجرج ولا تشوش! فأجد الغالبية تعتز بهذا التاريخ! وتتباهى بهذا الماضي! وتفتخر بهذا العمل! وتتبجح بهذا الصنع! والبعض يزهو مغروراً، ويشمخ متعجرفاً، ويتعالى متغطرساً، ولا يعترض مستهجنأً، ولا يشجب مستقبحاً، ولا يحتج رافضاً!

فما السبب الذي أوصل هذه الأمة إلى هذا الحال؟ فتنازلت عن إنسانيتها، وفقدت احساسها، وخسرت شعورها! فهي تُفكر بلا منطق ولا حجة، وتتأمل بلا دليل ولا برهان، وتتدبر بلا بينة ولا قرينة! وتنظر للآخر بحقد وبغضاء، وسخط وكراهية، وعداوة وضغينة! فما سبب هذا البؤس الذي أصابها.

فهل حقاً داعش لا تمثل ماضينا، لا تمثل غزواتنا، لا تمثل أفعالنا، لا تمثل أفكارنا، لا تمثل ثقافتنا؟ لنفكر قليلاً، ونتأمل ونتبصر قبل أن نجيب!

المصادر:

كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري / الأجزاء 3، 5، 6، 7 / الطبعة الثانية 1967 / دار المعارف / مصر.

كتاب البداية والنهاية لابن كثير / الجزء السابع / دار ابن كثير / دمشق - بيروت.
كتاب الطبقات الكبير / ابن سعد / الجزء الثالث / الطبعة الأولى 2001 / مكتبة الخانجي / القاهرة.

ثروات المُبشرين بالجنة

كان للصحابي الجليل عثمان بن عفان "ذو النورين" عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار! وترك ألف بعير بالربذة، وترك صدقات كان تصدق بها ببئر أريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار!

وقد أصاب "الفاروق" عمر بن الخطاب أرضاً بخيبر! فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفر منه! وحينما كان "سيدنا" عمر يوزع أموال الغزوات (النهب والسلب)، كانت حصته أربعة آلاف، وحصه ابنه خمسة آلاف! وقد أوصى (ربما بعد موته) لأمهات أولاده بأربعة آلاف أربعة آلاف لكل امرأة منهن! وقد تزوج عمر أم كلثوم بنت علي، على مهر أربعين ألفاً. (مهر أحد زوجاته السبعة أربعون ألفاً! فكم هي ثروتك يا خليفة خليفة رسول الله).

ويقول "أمير المؤمنين" علي بن أبي طالب: لقد رأيته مع رسول الله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنَّ صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً! الصدقة فقط تبلغ أربعين ألفاً، فكم هي ثروتك يا أبو تراب؟ من أين لك هذا يا إمام، يا معصوم، يا يعسوب المؤمنين؟

أما قيمة ما تركه "حواري رسول الله" الزبير بن العوام، اثنين وخمسين ألف ألف. وكان للزبير بمصر خطط (أراضي) وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلات تقدّم عليه من أعراض المدينة! وقد ذكر ابن كثير، أن ثروته قد بلغت تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف!

وتقول عائشة بنت "الصحابي الزاهد المتعفف" سعد بن أبي وقاص: مات أبي في قصره بالعتيق على عشرة أميال من المدينة، وترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم!

أما قيمة ما تركه "طلحة الخير والجلود" طلحة بن عبيد الله من العقار والأموال ثلاثين ألف ألف درهم، وترك من العين (النقد) ألفي ألف ومائتي ألف دينار، والباقي عروض (الأمثلة)! وقد ذكر ابن كثير أنَّ غلة أموال طلحة بلغت ألف درهم كل يوم! كم أنت زاهدٌ ناسكٌ راهبٌ، منقطع عن الدنيا!

أما المُبَشِّرُ بالجنة عبد الرحمن بن عوف "أحد الستة أهل الشورى" فقد ترك ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً (بعيراً)! وكان فيما ترك ذهباً، قُطِعَ بالفؤوس حتى مَجِلَت أيدي الرجال منه وترك أربع نسوة، فكان لكل امرأة ثمانين ألفاً وقيل مائة ألف!

مع العلم أن هؤلاء قد هاجروا من مكة قبل سنوات لا يملك أحدهم سوى ملابسهم وشسع نعلهم! فمن أين لهم كل هذه الدنانير والدراهم، والقصور والأراضي، والذهب الذي قُطِعَ بالفؤوس، والخيول والإبل والشاء؟

إنها الغنائم التي سُلِبَت، والبيوت التي نُهِبَت، والعبيد والسبايا التي بيعت! إنها اللصوصية والسرقة، والإجحاف والجور، وإنتراع الأموال قهراً، وإغتصاب الأرض كرهاً!

إنها الغزوات والغنائم أيها السادة! إنَّ مصدر هذا الثراء هو السبي وسوق النخاسة! ومنبع هذه القصور هو السطو والسلب والنهب! لقد مارس

الصحابة "رضي الله عنهم وأرضاهم" الإبتزاز والإستلاب والإغتصاب أيها
المؤمنون الأحرار!

لقد إنتزعوا الأموال قهراً أيها البشر، وإغتصبوا الأراضي كرهاً أيها الشرفاء!
هل فعلاً مازال هناك شرفاء لأتحدث إليهم، وأكتب إليهم! أم أسكتُ كاظماً،
وأصمتُ ماسكاً، واستعجم كاتماً!

لابد أن نعيد قراءة تاريخنا أيها الناس! لقد كذبوا علينا لصوص المعابد،
واحتالوا علينا كهنة الدين، وداهنوا ودلّسوا، ومكروا ودجلوا. لقد خدعونا
أنّ المبشّر بالجنة هو ذلك الرجل الزاهد العابد، والقانع التقى، والمتعفف
الورع، والقانت المتصوف، وحينما بحثنا في الكتب، وفتشنا في الأسفار،
وجدناه مبذراً مسرفاً، ومبدداً مبعثراً، ومتنعماً مُترفاً، ولصاً سارقاً!

كلما تعمّق المرء في دراسة هذا التاريخ الغريب العجيب، تُثار أسئلة قد
استترت عن القارئ، واحتجبت عن الباحث، واختبأت وتوارت عن شمس
الحقيقة! اخوتي المسلمون، لابد من قراءة التاريخ، ونش مقابر الكتب،
واستخراج ما في بطون الأسفار "المقدسة"، والحفر والتفتيش، والتحري
والإستقصاء، إن كنتم تُريدون الحقيقة التاريخية لهؤلاء الصحابة "رضي الله
عنهم وعنكم"!

أظنّ أنّ الأمر دُبر لبيل، وخُطط له في عتمة وظلام!

المصادر:

الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثالث/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي/
القاهرة
البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء السابع/ دار ابن كثير للنشر/ دمشق - بيروت.

تاريخ العقوبى/ أحمء بن أبى ععقوب/ المءلء الثانى/ شركة الأعلمى للمطبوعات/
الطبعة الأولى 2010/ بىروت.
سیر أعلام النبلاء/ شمس الءین الذهبى/ سیر الخلفاء الراشدون / الطبعة الءاءية
عشرة 1996/ مؤسسة الرسالة للطباعة/ بىروت.

قَدِمَ "الإمام المعصوم" الحسن بن علي على "ال خليفة وأمير المؤمنين" معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية: لأجيزنَّك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك، ولا أجيزُ بها أحداً بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف درهم!

في الحقيقة كل مَنْ يعرف شخصية هذا الإمام الزاهد التقي، سيتوقع أنه سيرفض هذه الأموال ولا يأخذها، لأن مصدرها السلب والنهب، ولأن معاوية حاكمٌ ظالم، كما يدَّعي أهل البيت، وجميع الشيعة من بعدهم، وأن كرامة الإمام المجتبي لا تسمح له قبول هذه الرشوة، ودماثة أخلاقه لا يمكن أن تستجيب لهذا الحاكم الجائر وينقاد له!

لكن "سبط رسول الله" خيَّب ظني وظنكم، وحَمَلَ الأربعمائة ألف درهم وعاد بها إلى المدينة، ليتزوج بالنساء ويتمتع بالجواري، فأكل أموال الناس كذباً وبهتاناً، وظلماً وجوراً!!

ويستمر ابن عساكر ذاكراً في تاريخه: إنَّ الحسن بن علي كان يأتي كل سنة إلى معاوية فيصله بمئة ألف درهم، فقعد سنة عنه ولم يبعث إليه معاوية بشيء، فدعا بدواة ليكتب إليه، فأغفى قبل أن يكتب، فرأى النبي في منامه كأنه يقول: يا حسن أكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟ قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني؟

لماذا سأل الحسن الخليفة الظالم ولم يسأل ربه القادر على كل شيء؟ ولماذا يصوِّر لنا الشيعة بأنَّ معاوية كان يضطهد أهل البيت؟ وهم يعيشون من عطاياه، ويتمتعون من بيت مال المسلمين (مصدره: سلب ونهب أموال

الناس). والسؤال المهم، لماذا كثر دين الحسن "كما يدّعي" عندما توقف معاوية عن إرسال الأموال إليه؟ فماذا كان يعمل الحسن في حياته؟ ما هو مصدر رزقه؟ ما هي وظيفته؟ من أين حصل على كل هذه الأموال التي مكّنته من الزواج بأكثر من خمسين امرأة (حسب الكتب الشيعية) أو سبعين امرأة (حسب المؤرخ الذهبي).

كان أهل البيت وأقرباؤهم يعيشون على العطايا التي يبعثها لهم الخليفة! التي مصدرها غزو البلدان الآمنة وسلب ونهب أموال الناس المساكين! ليأكل ويتنعم بها أهل البيت وزوجاتهم وأولادهم!

كم كنا مخدوعين ومضحوكاً علينا، لابد لنا أن نستيقظ من هذه الغيبوبة وفقدان الوعي، ومن هذا السبات الطويل، لنضع النقاط على الحروف، ونعرف حقيقة الأمر وشأن هؤلاء اللصوص، الذين سرقوا حتى الوجود!

المصدر:

تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر/ الجزء الثالث عشر/ دار الفكر/ الطبعة الأولى
1995/ بيروت-لبنان.

أمير المؤمنين وأم المؤمنين

أبو الحسن، علي بن أبي طالب الهاشمي، رابع الخلفاء "الراشدين" وأول أئمة الشيعة، ابن عم النبي محمد وصهره، وأحد الصحابة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد في مكة في جوف الكعبة، أمه فاطمة بنت أسد، وهو أول مَنْ أسلم، زوَّجَه النبي ابنته فاطمة في السنة الثانية للهجرة.

شارك علي في كل غزوات النبي، عدا غزوة تبوك، حيث خَلَّفه فيها محمد على المدينة "يثرب". وعُرفَ بشدته وبراعته في القتال، كان علي موضع ثقة النبي، فكان أحد كتّاب القرآن، وأحد أهم سفرائه ووزرائه.

بويع بالخلافة سنة 35 للهجرة في مدينة يثرب، فَلُقِبَ بأمير المؤمنين، وحكم خمس سنوات وثلاثة أشهر، ويُعتبر من أكبر فقهاء عصره، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق كما يعتقد الشيعة وبعض السُّنة، وقُتِلَ على يد عبد الرحمن بن ملجم عام 40 للهجرة.

أما عائشة بنت أبي بكر التيمية، هي ثالث زوجات النبي محمد، وإحدى أمهات المؤمنين، والتي لم يتزوج امرأة بكَراً غيرها. وهي بنت الخليفة الأول، وتزوجها النبي بعد غزوة بدر، السنة الثانية للهجرة، أُتِهمتْ عائشة بالزنا في حادثة عُرِفَتْ في التاريخ الإسلامي بحادثة الإفك، وقد برّأها القرآن بعد هذه الحادثة بشهر، وفق مُعتقد أهل السُّنة بشكل خاص.

ذكر المؤرخ الحاكم النيسابوري في كتابه "المستدرک": "إنَّ ربع أحكام الشريعة نُقلت عن السيدة عائشة. وكان أكابر الصحابة يسألونها فيما استشكل عليهم. فكانت من الفصاحة والبلاغة ما جعل الأحنف بن قيس

يقول: ما سمعتُ الكلامَ مِن فم مخلوق، أفخم، ولا أحسن منه مِن في عائشة.

في عام ستٍ وثلاثين للهجرة، حدثت معركة عُرفت في التاريخ الإسلامي بموقعة الجمل، بين جيش يقوده أمير المؤمنين ويعسوب الدين، أبو تراب، علي بن أبي طالب، وجيش آخر تقوده أم المؤمنين، الحميراء، وحبيبة رسول الله، عائشة بنت أبي بكر، ومعها المبشرين بالجنة، طلحة والزبير! فقد خرجت عائشة مع الجيش في هودج من حديد على ظهر جمل، فسُميت المعركة بالجمل نسبة إلى ذلك الجمل. قُتل في هذه المعركة حوالي ثمانية عشر ألفاً جميعهم من المسلمين!

أما معاوية بن أبي سفيان الأموي، أحد الصحابة وكُتّاب القرآن، وسادس الخلفاء في الإسلام، ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأول خلفائها. ولد بمكة، وجعله عمر بن الخطاب أثناء خلافته وآلياً على الأردن، ثم ولاة دمشق، ثم ولاة عثمان بن عفان الشام كلها، وأصبح خليفةً للمسلمين عام 41 للهجرة بعد مقتل علي وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة.

في عام سبعٍ وثلاثين للهجرة، حدثت معركة عُرفت في التاريخ الإسلامي بموقعة صفين، بين جيشين أحدهم يقوده أمير المؤمنين والإمام المعصوم وابن عم "رسول الله" علي بن أبي طالب، والآخر يقوده وآلي الشام معاوية بن أبي سفيان، وصفين هي منطقة تُعرف حالياً بالحدود العراقية السورية. وقد استمرت هذه المعركة تسعة أيام، وانتهت بالاتفاق على التحكيم بين الطرفين، بعد رفع المصاحف على أسنة الرماح، إشارة إلى ضرورة التحاكم إلى القرآن. فتوقف القتال وأذن عليٌّ بالرحيل إلى الكوفة، وتحرك معاوية

بجيشه نحو الشام. وقُتل في هذه المعركة سبعون ألفاً جميعهم من المسلمين!

وبعد عام من تلك المذبحة، وقعت معركة أخرى، عُرفت في التاريخ بمعركة النهروان، وكانت بين جيشين، أحدهم يقوده "أمير المؤمنين" أيضاً، علي بن أبي طالب، والآخر يقوده عبد الله بن وهب الراسبي، من قبيلة الأزد اليمنية، وقد عُرف هذا الجيش، بجيش الخوارج!

وبعد معركة حاسمة وقصيرة، انتهت بانتصار جيش علي وهزيمة الخوارج، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، فكان القتلى بعضهم فوق بعض، كما يذكر المؤرخون، حيث قُتل في هذه المعركة أربعة آلاف، جميعهم من المسلمين!

اثنا وتسعون ألف قتيل خلال ثلاث سنوات فقط! السؤال الذي يطرح نفسه: برقة من كل هذه الدماء التي سالت، والأشلاء التي مُزقت، والرقاب التي قُطعت! برقة أمير المؤمنين؟ أم برقة أم المؤمنين؟ أم برقة خليفة المسلمين؟

المسلمون يتطاحنون فيما بينهم ويذبحون بعضهم بعضاً، كما يتطاحنون اليوم ويصرخون بأعلى صوتهم: إنها مؤامرة! كفانا جهلاً أيها الناس، كفانا استغفالاً أيها البشر، كفانا خِداً أيها القوم! أين الإدراك والبصيرة، وأين الحصافة والحكمة، لقد ملّ منّا الجهل والجنون، وسئمت منا البلاهة والغفلة!

إلى متى نبقى نؤمن بهكذا خرافات، ونتقاتل من أجلها. لقد ضحكت علينا الأمم، وسخرت منّا الدول! أما حان وقت اليقظة، أليس منكم رجلٌ رشيد!

المصادر:

كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر/ أبو الحسن المسعودي/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2005/ المكتبة العصرية/بيروت.
الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثالث/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي/ القاهرة.

اغتيال الشعراء

كان للشعراء في عصر قريش تأثيرٌ كبير ونفوذٌ عظيم على الناس ومقامٌ ومنزلة! وكان لهم مكانةٌ قوية، ولكلامهم حظوة وإعتبار! والعصماء بنت مروان واحدة من هؤلاء الشعراء التي أخافت محمداً وأرعبته كلماتها، وفَرَع من أشعارها، وهلَعَ من صوتها، فقد كانت تفضح الإسلام بقصائدها، وتكشف المستور، وتُعيِب أفعال المسلمين من قتلٍ وذبح، وسلبٍ ونهب!

فحينما رجع المسلمون من غزوة بدر، طلب الصحابي الجليل والخاشع العابد، عمير بن عديٍّ، من نبي رحمة أن يأذن له بقتلها، وبما أن النبي محمد كان رؤوفاً حنوناً، رقيق القلب شغوفاً، فأذن له بقتلها وذبحها! وفي رواية، إنَّ محمداً قال: ألا رجل يكفينا هذه؟ يقصد عصماء بنت مروان، فقال عمير بن عدي: أنا لها!

فجاءها الصحابي التقى الورع، عمير بن عديٍّ، في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها، وحولها أطفالها نيام، منهم من ترضعه في صدرها، فجسّها بيده، ونحّى الصبي عنها، ووضع سيفه في صدرها حتى أنفذه من ظهرها!

ثم عاد وصلى الصبح مع نبيه في المدينة، وكان هذا في شهر رمضان! فقال له زعيم الأمة وحبيب الله: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله! فهل عليّ في ذلك من شيء؟ فأجابه الصادق الأمين: لا ينتطح فيها عنزان!

لا ينتطح فيها عنزان! كلامٌ من ذهب، يدلُّ على عدالة هذا الرجل، وإنصاف هذا المخلوق، فكم أنت عطوفٌ يا رسول الله! وكم أنت حليمٌ يا نبي الأمة! حينما تقتل الناس لإنهم كتبوا شعراً، معترضين على ضرب الرقاب وقطع

الرؤوس، ومستنكرين سبي النساء واستعباد الأطفال، ومسقبحين سلب القوافل ونهب الأموال! لقد صدق جبريل حينما قال: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ!

ومازال البعض المُغَيَّب يعترضُ رافضاً، ويحتجُ مستنكراً على أعمال هتلر وستالين وجنكيزخان! أيها القوم الأجلاء حاسبوا مجرميكم قبل أن تعترضوا على مجرمي الشعوب الأخرى!

مَنْ يفتخر بهكذا تاريخ، ويتبجح بهكذا شخصيات، لابد أن يكون قاتلاً مثلهم، وسارقاً، ناهباً، سالباً. أما أنا فأضطربُ حياءً من أسفار التاريخ السوداء، وأكتبُ خجلاً عن كتب السيرة الحالكة المظلمة، وأشعر بالخزي والعار من تلك الضمائر الميئة!

المصادر:

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي للنشر/ القاهرة - مصر.

المغازي/ الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان. أنساب الأشراف/ البلاذري/ الجزء الأول/ الطبعة الأولى 1996/ دار الفكر للطباعة/ بيروت-لبنان.

قطع الرؤوس وصلب الجثث

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أخو الإمام محمد الباقر، ولد في مدينة يثرب، ونشأ في أحضان والده الإمام زين العابدين، يذكر المؤرخون أنه كان من أكابر الصلحاء وأعظم أهل البيت عبادةً وزهداً وورعاً ودينياً وخضوعاً، وكان معروفاً بفصاحة المنطق، وجزالة القول، والوضوح في البيان.

في عام 122 للهجرة، تم القضاء على ثورة زيد بن علي، من قبل الجيش الذي أرسل بأمر من خليفة المسلمين هشام بن عبد الملك، وقد أصيب زيدٌ وأُتخن بالجراح، وقد أصابه سهمٌ في جبهته، فطلبوا مَنْ ينزع النصل، فأُتي بطبيب فاستكتموه أمره، فأستخرج النصل، فمات من ساعته، فدفنوه في ساقية ماء، وجعلوا على قبره التراب والحشيش، وأُجري الماء على ذلك.

بعد انتهاء المعركة، قام قائد الجيش "يوسف بن عمر الجرحي" بالبحث عن زيد بين القتلى، فنادى مناديه، ألا مَنْ أخبر بمكان دفنه فله الجائزة، فجاء الطبيب، فدله على موضع قبره، فنبش قبره، وأخرج زيداً، ثم صلبه على خشبة عريانة، ثم أنزل بعد ذلك وأُحرق!

وتذكر كتب التاريخ إنَّ زيداً أُسْتُخِرَ من قبره وقُطِعَ رأسه، وصُلِبَ جَسَدُهُ، وبُعِثَ برأسه إلى الخليفة، فصُلِبَ هناك على باب مدينة دمشق، ثم أُرسِلَ إلى يثرب، وبقيَ البدنُ مصلوباً إلى أن مات الخليفة، ووليَّ الوليد، فأمر بانزاله وإحراقه!

سيدّعي أحد المُغيّبين، إنَّ كل هؤلاء لا يمثّلون الإسلام، ولا يُطبّقون تعاليم القرآن، ولا يتبعون سيرة رسول الله! لا يا سيدي، على العكس، فكل ما فعله

هؤلاء هو جوهر الإسلام، وزُبدة القرآن، ولُب الشريعة! فقطعُ الرؤوس، وحُزَّ الرقاب، وصلبُ الجثث هو امتثالٌ لأوامر القرآن "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا".

وقد رأى خليفة المسلمين إنَّ زيداَ هذا كان يسعى في الارضِ فساداً، فتم قتله، وذبحه، وصلبه، ثم تقطيعه، وإحراقه! فداعش اليوم أيها السادة، تُطبّقُ الفقه والشريعة، وتتمسكُ بالدين والناموس، وتُنفذُ أوامر الله والقرآن، وتتبعُ سنةَ خاتم الأنبياء، وتحتذي بأفعال الخلفاء، وتقتفي أثر الصحابة!

فالذين نراهم اليوم، هم أحفاد القتال الضحوك، وأسباطُ الصحابة السابقين الأولين، وأولادُ التابعين والسلف الصالح! تلقوا تعاليمهم من نفس المدرسة، وإقتبسوا أفكارهم من نفس المنهج، ودستورهم القرآن والسنة! فهم يقطعون الرؤوس، ويصلبون الأجساد، ويُمزقون الأشلاء، ويحرقون الجثث، كما فعل الأجدادُ مِن قَبْل!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء العاشر/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق-بيروت.
الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الرابع/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء السابع/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.
مروج الذهب/ علي بن الحسين المسعودي/ الجزء الثالث/ الطبعة الأولى 2005/ المكتبة العصرية/ بيروت.

كتاب الكافي، من أبرز كُتب الحديث عند الشيعة، ويُعد عندهم أكثر الكُتب الأربعة اعتباراً (كتاب الكافي، كتاب الاستبصار، كتاب تهذيب الأحكام، كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه) مؤلفه هو محمد بن يعقوب الكليني، المتوفي عام 329 للهجرة، أحد كبار فقهاء ومُحدثي الشيعة، ومن أهم علماء الحديث عندهم، لُقِب بثقة الإسلام. وُلِد في النصف الثاني من القرن الثالث بقرية كَلين، قُرب مدينة ري الواقعة في جنوب العاصمة طهران.

أما جعفر الصادق، هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سادس الأئمة عند الشيعة، ويُنسب إليه انتشار مدرستهم الفقهية، وُلِد في مدينة يثرب عام 80 للهجرة، تزوج من نساء عديدات، إحداهن كانت حميدة البربرية (أمة أندلسية يرجع أصلها إلى بربر المغرب) وهي والددة الإمام موسى الكاظم. عُرِف عنه اطلاعه الواسع وعلمه الغزير (في الفقه) حيث شهد له بذلك الأكابر، منهم تلميذه الإمام أبو حنيفة.

يذكر الكليني ناقلاً عن الإمام السادس لدى الشيعة الإثنا عشرية، جعفر بن محمد، الملقب بالصادق، قائلاً: لقد قال جدي رسول الله "الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوفُ مقاليدُ الجنة والنار.

ويستمر حفيدُ رسول الله ناقلاً عن جده خاتم الرُّسل والأنبياء: فَمَنْ ترك الجهاد ألبسه الله ذُلًا وفقرًا في معيشته، ومَحَقًّا في دينه، أن الله أغنى أمتي بسنابك خيلها، ومراكز رمحها!

ومن أقوال هذا الإمام العابد الناسك، والتقي الورع: إِنَّ الله بعثَ رسوله بالإسلام إلى الناسِ عشر سنين، فأبوا أَنْ يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير في السيف، وتحت السيف، والأمرُ يعود كما بدأ.

فَمَنْ يتأمل بهذه الأحاديث، ويتبصر في تلك الأقوال، ويتفكر، ويتروى، يجدُ أَنَّ الله يأمر المسلم بالغزو، والقتال، والجهاد، وإلا سيلبسه ذُلًّا وفقراً! وسيلاحظ كلُّ مَنْ طالع وتقصى وتحقق، أَنَّ رسول الله يأمر بالسيف، والقتل، والذبح! وسيرى كلُّ مَنْ حَقَّق وأدام النظر أَنَّ أُمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ يرفعون شعار "الخير بالسيف وتحت السيف"!

بعد كل هذا الإجرام، والسيوف، والرماح، والخناجر، وسنابك الخيل وحوافرهما، يخرج علينا أحد المُغَيَّبِينَ من المسلمين الشيعة، فيسأل متبجحاً، ويستفهم مفتخراً، ويستوضح مُتكبراً: ما رأيكم بأهل البيت وعدالتهم؟

حَالُهُمْ يا سيدي، حالُ أَبِي بَكْرٍ وعمرٍ وعثمانٍ وخالدٍ، والخلفاء الامويين والعباسيين، فكلهم أمروا بالقتل والذبح والسلب والنهب، وسبي النساء، واستعباد الاطفال! وجميعهم اشتركوا بهذه الجرائم البشعة، وحرصوا عليها، وأكلوا حراماً، وشربوا سُحتاً، وكتب التاريخ تشهد عليهم، وأسفارها تفضحهم!

وما زال البعض يعتبر الدين هو أساس الأخلاق والفضيلة، ولا يعلم أنه أساسُ القتل والذبح، ومصدرُ السلب والنهب، وسببُ السبي والاستعباد، وأصلُ التفرقة والعنصرية، ومبعثُ الحقد والبغضاء، ومنبعُ العداوة والضغينة، وينبوعُ المُقْتِ والكراهية!

فمن الواجب علينا يا سيدي، أَنْ لا نقرأ صفحات التاريخ ونُقلِّبها بلا فهمٍ ولا تحليل، ولا إدراكٍ ولا إستيعاب، بل على القارئ الذكي الحصيف، والفطن

اللبيب، أن يستخلص العبر، ويستنبط الدروس، فيقرأ بترئث وإتقان،
ويبحث بتمهل وإحكام، ودقة وإجادة، لا بإستعجال وإستخفاف، ولا
بإهمال وتقصير، ولا بتكاسل وتهاون.

المصدر:

كتاب الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني/ الجزء الخامس/ الطبعة الأولى 2007/
منشورات الفجر/ بيروت - لبنان.

قطع الطُّرق على القوافل

في السنة الثانية للهجرة، أرسل النبي محمد عبد الله بن جحش الأسدي، وبعث معه ثمانية رجال من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وأمره أن ينزل منطقة تُدعى نخلة، بين مكة والطائف، ليرصد بها قريشاً، ويعرف أخبارهم.

فمرت به قافلة قريش تحملُ زيبياً وأدماً (جلوداً)، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي. فلما رآهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فتشاور المسلمون فيما بينهم، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن أشهر الحرم، فلم تتمكن من قتلهم، فأجمعوا على قتل من قدروا عليه!

فقتلوا واحداً منهم بسهم، واستأسروا اثنين، وأفلت الآخر منهم، فعاد عبد الله بن جحش وأصحابه بالبعير (القافلة) والأسيرين، فقال عبد الله لأصحابه في الطريق: إنَّ لرسول الله مما غنمنا الخمس. فعزله وقسم الباقي بين أصحابه، وذلك قبل أن يأمر القرآن بالخمس. حتى وصلوا مدينة يثرب، وكان بانتظارهم الصادق الأمين.

فواجه محمدٌ وأصحابه مشكلة الأشهر الحرم، وهي أربعة أشهر، كان العرب قبل الإسلام يمتنعون عن القتال فيها، وكان الهدف من هذا التقليد عندهم هو تمكين الحجاج والراغبين في الشراء من الوصول آمنين إلى أماكن العبادة والأسواق والعودة بسلام.

فرفض النبي، في بادئ الأمر، أن يأخذ من الغنائم شيئاً، وقالت قريش: قد استحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، جاء جبريل مُسرِعاً، لانقاذ المسلمين ونبههم من هذا الموقف المُحرج، حاملاً بيده آياتٍ من السماء، وتعاليماً من الإله، تنصُّ على تحليل القتال في تلك الأشهر، وأخذ الغنائم والأموال، وإباحة القتل والذبح، والسلب والنهب.

فيذكر المؤرخون المسلمون، لقد فرح المسلمون، وفرّج الله عنهم ما كانوا فيه من الشفق والخوف، فأخذ خاتم الأنبياء الغنائم، وقبض على العير والأسيرين، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وفي الحقيقة كانت أول عملية سلب ونهب، وأول مهمة لقطع الطريق تمت بنجاح.

فلو أبعدنا التقديس عن النبي والصحابة الأجلاء، وقرأنا هذه الأحداث مستخدمين عقولنا، لا عقولهم، وحكّمنا ضمائرنا، لا ضمائرهم، لوجدنا أنّ هؤلاء الصحابة ما هم إلا لصوٌّ سارقون، وقطّاع طُرُقٍ ناهبون، وعصابةٌ من الصعاليك وذؤبان العرب، يقتلون الناس، ويأسرون التجّار، ورئيسهم وزعيمهم، الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق، ينهبُ قهراً، ويسلبُ غصباً، ويغزو نهاراً، ويهجمُ ليلاً، ويقطع الرؤوس، ويحرّز الرقاب، ويبيقرُ البطون، ويمزقُ الأشلاء.

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
المغازي/ الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.
سيرة النبي/ ابن هشام/ المجلد الثاني/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/ مصر.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

أُمِيَّةُ بن خلف بن وهب القرشي، أحد رؤوس وسادات قریش وكبارهم، ولد في مكة، يُكنى بأبي صفوان، أدرك دعوة محمد لكنه لم يسلم، وكان بلالاً عبداً له، فعذبه حينما عَلِمَ أَنَّ بلالاً اعتنق الإسلام، لهذا قام بلالٌ بقتل أُمِيَّة في غزوة بدر.

لكن أكثر المسلمين يعتقدون أَنَّ بلالاً بارز أُمِيَّة في المعركة وقتله، كما ظهر ذلك واضحاً في فيلم الرسالة، لكن الحقيقة خلاف ذلك، فأكثر أحداث هذا الفيلم كانت كذباً وتظليلاً، وإفتراءً وبهتاناً، فزوّروا ولفّقوا كثيراً، وإختلقوا وزوّقوا غزيراً. فلا تقابل الاثنان، ولا تبارزا في تلك المعركة، بل تم قتل أُمِيَّة وابنه حينما كانا أسيران، لا يحملان سيفاً ولا خنجراً.

في السنة الثانية للهجرة، وبعد إنتهاء غزو بدر، بدأ المسلمون يسلبون ملابس القتلى وسيوفهم ودروعهم، ويأخذون الأحياء منهم أسرى، ليبادلونهم فيما بعد بالمال.

فيذكر عبد الرحمن بن عوف، الذي كان صديقاً لأُمِيَّة بن خلف، وهو يصف ما حدث بعد غزوة بدر قائلاً: مررتُ بأُمِيَّة، حيث كان واقفاً مع ابنه، وهو آخذٌ بيده، في ساحة المعركة، فنادى عليّ، وكنتُ حاملاً أدرعاً قد استلبتها، قائلاً: هل لك فيّ، فأنا خيرٌ من هذه الأدرع التي معك؟ وكان يقصد أن يأخذه أسيراً، ثم يفدي نفسه هو وابنه بالمال، أفضل من تلك الأدرع الرخيصة.

فوافق عبد الرحمن، ويستمر بذكر الحادثة قائلاً: فطرحْتُ الأدرعُ من يدي، وأخذتُ بيدهِ وبيدِ ابنه، ثم خرجتُ أمشي بهما. فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي، فقال بلال: رأسُ الكُفْرِ أُميَّةُ بن خلف، لا نجوتُ إن نجا. فقال عبد الرحمن: أي بلالٌ أسيري؟ يترجى بلالاً أن لا يقتله!

فقال بلال: لا نجوتُ إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأسُ الكفر أُميَّةُ بن خلف، لا نجوتُ إن نجا. ويكمل عبد الرحمن قائلاً: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في حلقةٍ كالسوار، فأنا أذُبُّ عنه، فضرب رجلٌ منهم بالسيف رجل ابنه فوقع، وصاح أُميَّةُ صيحةً ما سمعتُ بمثلاً قط!

فالتفتَ عبد الرحمن لأُميَّةَ قائلاً: انجُ بنفسك ولا نجا، فوالله ما أغني عنك شيئاً، وكان أُميَّةُ رجلٌ ثقيلاً، فلما أدركونا، قلتُ له: ابرُك، فبرك فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي، حتى قتلوه، فهبروهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما (قطَّعوا لحمهما قطَّعاً).

لقد تم تقطيع الأسيرين قطعاً، ومزيقهما إرباً إرباً، وبُعِثَتِ أشلاؤهما، وكُسِرَتْ عظامهما، وشُقِّقَتْ أعضاؤهما. فقد هجم عليهما الهمج الرعاع، وهما عُزِّلَ بلا سيفٍ ولا درع، فضربوهما بالسيوف، وطعنوهما بالخناجر!

أهؤلاء هم الصحابةُ الأجلاء الكرام! أهؤلاء هم الشرفاء الأتقياء، والنبلاء النجباء! أهؤلاء الذين صدعتم رؤوسنا بهم ليل نهار! وتبجحتم بهم، وتفاخرتم بهم، وتباهيتم غروراً، وزهوتم تكبراً. حَكِّمُوا عقولكم، وفوِّضُوا ضمائركم، وشاوروا وجدانكم، إن كان هناك قليلٌ منها.

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.

سيرة النبي / ابن هشام/ المجلد الثاني/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/
مصر.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/
مصر.

النضر بن الحارث وعُقبه بن أبي مُعيط

النضر بن الحارث بن علقمة القُرشي، سيد من أسياد قبيلة قريش ووجوهها، رفض دعوة محمد للنبوة، وأنكرها وعارضها، فقال هو وبعض كبار قريش: إنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد عبت الدين، وشتت الآلهة، وسفّحت الأحلام، وفرقت الجماعة!

ذهب إلى الحيرة فقرأ كُتب الفرس، وقصصهم وأساطيرهم، وخالط اليهود والمسيحيين، وسافر إلى العراق والشام وفارس، فإذا عاد إلى مكة يُحدث الناس بهذه القصص، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلُم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه!

أما عُقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمّية بن عبد شمس، فهو من وجهاء وكبار قريش أيضاً، وكان رجلاً حليماً، وكان يوماً قد صنع وليمة فدعا إليها قريشاً، ودعا محمداً، فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم، وكره عقبة أن يتأخر عن طعامه أحد، فأسلم ونطق الشهادتين، ثم عاد وكفر بعد ذلك!

بعد انتهاء غزوة بدر، وفي طريق العودة إلى مدينة يثرب، وفي منطقة تُدعى الصّفراء بالحديد، أمر نبي الرحمة بقتل أحد الأسرى، وهو النضر بن الحارث، فقام علي بن أبي طالب وضرب عنقه بالسيف، فقطع رأسه، كما يفعل مسلمو داعش اليوم!

بعدها، وفي منطقة تُدعى عرق الطُّبية، أمر زعيم الأمة وخاتم الأنبياء بقتل أسير آخر، وكان هذه المرة عُقبه بن أبي مُعيط، فلما أرادوا قتله، جَزَع من القتل وقال: ما لي أسوة بهؤلاء؟ يعني الأسرى، ثم قال: يا محمد مَنْ للصّبية؟ أي مَنْ لأطفالي، فقال محمد: النار! فقام عاصم بن ثابت، أحد الصحابة الكرام، وضرب عنقه بالسيف، ففصل رأسه عن جسده!

فهكذا كان الصادق الأمين يأمر بقتل الأسرى، وضرب أعناقهم، بلا رحمة ولا شفقة، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ينفذون أوامره، فيقطعون الرؤوس بسيوفهم، ويمزقون الأشلاء بخناجرهم، ويبقرون البطون برماحهم!

فهل هذه هي الأخلاق التي جاء محمدٌ ليتمم مكارمها؟ وهل كان بالفعل على خلقٍ عظيم؟ وهل حقاً كان الصحابة والسلف الصالح صالحين أتقياء، وطاهرين شرفاء؟ فحقيقتهم أيها الناس، واضحةٌ وضوح الشمس. لقد كان الصحابي طالحاً فاسقاً، وسفاحاً سفاكاً، ومجرماً آثماً. بلا شرفٍ ولا نُبلٍ، ولا نخوةٍ ولا مروءة، ولا دماثةٍ ولا أخلاق، يقطع طريق القوافل والتجار، ويسطو عليها جهاراً نهاراً، ويسلبها وينهبها كاللصوص والصعاليك.

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
سيرة النبي/ ابن هشام/ المجلد الثاني/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/ مصر.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

يهود بني النضير

اختلف المؤرخون في غزوة بني النضير، فمنهم مَنْ ذكرها في السنة الثالثة، ومنهم مَنْ ذكرها في السنة الرابعة من الهجرة. فقد ادعى النبي محمد أَنَّ الله أخبره عن طريق جبريل أَنَّ أحداً من بني النضير سيلقي عليه صخرة، وهو جالسٌ مع أصحابه جنب جدارٍ من بيوت بني النضير. فقام وخرج راجعاً إلى مدينة يثرب.

فأرسل محمدٌ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده! فبعثوا له أنهم لا يخرجون، فأمر زعيم الأمة الناس بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم. فحاصرهم خمس عشرة ليلةً، وتحصنوا منه في الحصون.

فأمر محمد بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنتَ تنهي عن الفساد، وتُعييه على من صنعهُ، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ فبعد أن طال الحصار عليهم، طلبوا من محمد أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم، وأن لا يستصحبوا شيئاً من السلاح، إهانةً لهم واحتقاراً.

فقبل ذلك منهم، فأعطى كل ثلاثة منهم بغيراً يعتقبونه، فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل، فخرجوا إلى خيبر، وتركوا خلفهم النخيل والمزارع، فاستولى عليها رسول الرحمة، فوجد من الأسلحة خمسين درعاً، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وكانت له خالصةً، فلم يخمسها ولم يُسهم منها لأحد، وقد أعطى ناساً من أصحابه.

لهذا جاءت آياتُ سورة "الحشر" لتقول إِنَّ أموال ونخيل ومزارع بني النضير كلها للرسول، فملكها الله لحبيبه محمد، فكانت مما أفاء الله على رسوله،

فكانت لمحمد خاصةً، فكان يعزل نفقة أهله سنّةً، ثم يجعل ما بقي في شراء السلاح.

وهكذا ترك بني النضير منازلهم خالية، وتنازلوا عن مزارعهم، وتخلّوا عن نخيلهم، وأُجبروا على الرحيل، والخروج من مدينتهم قهراً، ومغادرة أراضيهم عنوةً. هذا ما فعله الصحابة بهم، رضي الله عنهم وأرضاهم، هؤلاء هم السلف الصالح، الأتقياء العابدين، والشرفاء الزاهدين.

هذا هو الجور والإجحاف، والإهانة والإذلال، والتعسف والإحتقار. فهذا ما فعلوه الذي أرسل رحمة للعالمين، وهذا ما قام به صاحبُ الخلق العظيم والصادق الأمين، غزا وهجر وأخذ الأموال واستولى على الأراضي. فهذه هي السرقة جَهاراً نهاراً، وأفعال اللصوص والصعاليك، وسلبٌ ونهبٌ، وسطوٌ وغنيمة.

فأين الإستقامة والأمانة، والصدق والنزاهة، التي يتحدثُ عنها المغيّبون، ويتبجح بها النائمون، ويفتخر بها الهاجعون. كفاكم أيها الناس نوماً وسباتاً، كفاكم نُعاساً وغيوبةً، أما حان وقتُ النهوض، أما آن وقتُ الإستيقاظ.

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
سيرة النبي/ ابن هشام/ المجلد الثالث/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/ مصر.

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي للنشر/ القاهرة - مصر.

اغتيال أبي رافع

أبو رافع، سَلَام بن أَبِي الْحَقِيق. لما قُتِلَت الأوس كعب بن الأشرف، قالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله، وكانا يتصاولان (يتفاخران) تصاول الفحلين، فتذاكر الخزرج مَنْ يعادي محمد، كابن الأشرف، فذكروا ابن أَبِي الْحَقِيق، وهو بخير، فاستأذنوا محمداً في قتله، فأذن لهم. وكان ذلك في السنة الرابعة للهجرة.

فخرج إليه خمسة رجال من الخزرج على رأسهم عبد الله بن عَتِيك، فأتوا دار أبي رافع ليلاً، فاستأذنوا عليه، فقالت امرأته: ما شأنك؟ فأجاب ابن عتيك: لقد جئتُ أبا رافع بهدية، فأدخلتهم زوجته عليه، فلما دخلوا، قال أحدهم: أين أبو رافع؟ وإلا ضربتك بالسيف! فقالت: هو ذاك في البيت.

فدخلوا عليه، فوجدوه على فراشه، وقالوا ما عرفناه إلا ببياضه كأنه قُبْطِيَّة مَلَقَاة (القبطية، ثيال من كتان بيض رقاق). فعلوناه بأسيا فدا، فضرَبناه. وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وجعل القوم يضربونه جميعاً، فصاحت المرأة، فجعل الرجل يريد قتلها، فتصايح أهل الدار بعد ما قُتِل، فخرجوا من عنده.

فطلبتهم اليهود في كل وجه، وخرجوا في آثارهم، يطلبونهم بالنيران في شُعَل السَّعَف، فلم يروهم، حتى إذا يئسوا، رجعوا إلى أصحابهم. وعاد أحد المسلمين ودخل في الناس، ليتأكد من موت أبي رافع، فأقبلت امرأته معها شعلَةٌ من نار، ثم أحنَت عليه تنظر أحيًى أم ميت هو، فصاحت امرأته وقالت: فاظ، وإله موسى. فعاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر.

فساروا حتى قدموا على النبي محمد، وهو على المنبر، فلما رآهم قال: أَفْلَحَتِ الوجوه! فقالوا: أَفْلَحَ وجهك يا رسول الله! قال: أَقْتَلْتُمُوهُ؟ قالوا:

نعم. وقد اختلفوا في قتله، كل واحد منهم يدّعي قتله، فقال محمد لهم: هاتوا أسيافكم، فجاؤوا بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

فقال الشاعر حسان بن ثابت، وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام ابن أبي الحقيق:

لله دَرُ عَصَابَةٍ لاقيتهم يابن الحقيق وأنت يابن الأشرق
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأسدٍ في عرينٍ مُغرف
حتى أتوكم في محلٍّ بلادكم فسقوكم حتفاً ببيضٍ دُفّف
مُستبصرين لنصر دين نبهم مُستضعفين لكل أمرٍ مجحف

وهكذا سقطت ضحية أخرى من ضحايا رسول الله، فريسةً أخرى، ذبيحةً أخرى. قُتل سلام بن أبي الحقيق بأيادي غادرة خبيثة، وخائنة مأكرة. أُغتيل أبو رافع بسيف جبانة خائنة، وبخناجر ذليلة عاجزة. فهل هذه هي المودة والرحمة التي يتبجح بها المتبجحون، أم هذا هو الإنصاف والعدل الذي يتفاخر به المتفاخرون!

لقد استأذن الصحابة الكرام الأجلاء من نبي الرحمة، لقد طلبوا الإذن من الذي جاء ليتمم مكارم أخلاقهم، أرادوا رخصةً لقتل نفسٍ آمنة في بيتها، روحٍ نائمة في سريرها، في مكانٍ بعيد عن مدينتهم، في موضعٍ قصي مترامٍ عن شذوذهم وفجورهم. فأذن لهم الصادق الأمين، إمامُ المتّقين، حبيب الله، أذن لهم بقتل الضحية، بذبحها، بقر بطنها، بتمزيق أشلائها.

إنه جورٌ وتعسفٌ، وظلمٌ وإجحافٌ، وقهرٌ وطغيان. إنه جرمٌ وجريرة، وذنبٌ وخطيئة، وإثمٌ وجريمة. وضاعةٌ ودناءةٌ هي، وإنحطاطٌ وحقارةٌ تلك، وعجرفةٌ وعنجهية، وغطرسةٌ وغرور. فلا شرفٌ ولا شموخ، ولا عزةٌ ولا مروءة.

المصادر:

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
المغازي/ الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان
سيرة النبي/ ابن هشام/ المجلد الثالث/ دار الصحابة للتراث/ الطبعة الأولى 1995/
مصر.

السلب والنهب.. نهراً جهاراً

في السنة الثالثة للهجرة، قدّم نعيم بن مسعود مدينة يثرب، وكان حينها على دين قومه، دين قريش، واجتمع بكنانة بن أبي الحُقَيْق في بني النضير، ومعهم سليط بن النعمان وكان قد أسلم، فشربوا، وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر، فتحدث نعيم بن مسعود بقضية القافلة، التي سيخرج فيها صفوان بن أمية، كقائدٍ لها. وأخبرهم عن الأموال التي يحملونها معهم، علاوةً على الفضة الكثيرة.

حينها خافت قريش طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدرٍ ما كان، فقال صفوان بن أمية: إنّ محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متّجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، فما ندري أين نسلك. فقال له الأسود بن المطلّب: خُذ طريق العراق. قال صفوان: لست بها عارفاً. قال له أبو زمعة: فأنا أدلك على أخبر دليل بها، يسلكها وهو مُغمض العين. فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجارٌ، فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعه فضةٌ كثيرة، وزن ثلاثين ألف درهم، وهي عَظْم تجارتهم. واستأجروا رجلاً يقال له: قُرات بن حيّان، ليدلّهم على تلك الطريق.

فخرج سليط بن النعمان فأعلم النبي محمد بقضية القافلة، فبعث محمد مائة راكب من المسلمين ليقطعوا الطريق عليهم، يقودهم زيد بن حارثة (ابن محمد بالتبني). وهي أول سرّيّة خرج فيها زيدٌ أميراً. فلقيهم على ماءٍ يقال له: القَرْدَة. من مياه نجد، فأصاب تلك القافلة وما فيها من أموالٍ وفضة، وأسروا رجلاً أو رجلين، وتمكّن الباقون من الهرب، فقدّم زيد بالقافلة والأموال والفضة على خاتم الأنبياء وزعيم الأمة.

استلمها الصادق الأمين، مسروراً سعيداً، ومبتهجاً مستبشراً، فأشاد بأصحابه الغزاة، وأثنى على قائدهم زيد ثناءً عاطراً. فخمّس الغنيمة، التي نُهبَتْ من التجار عنوةً، وسُلبَتْ قهراً. فبلغ خُمسها عشرين ألفاً، وقسّم أربعة أخماسها على السريّة.

سلبٌ ونهبٌ نهاراً جهاراً، وقطع طريق لسرقة القوافل والتجار. إبتزازٌ رخيص، وإستلابٌ لئيم، وسطوٌ ولصوصية، ونشلٌ وانتهاب، وإمتشانٌ واختطاف. أفعالٌ حقيرة، وأعمالٌ دنيئة، لا شرفٌ ولا ضمير، ولا أخلاقٌ ولا مروءة. هذا ما كان عليه هؤلاء الصعاليك المتسكعون، اللصوص المتشردون، فقد صعلكهم الجذب والجفاف، وماتت فيهم الرجولة والنخوة. فهلكَتْ ضمائرهم، وفطستْ سريرتهم، وبارتْ دماثتهم.

خلاصة هذه الحادثة، وزُبدة هذه القصة، أنّ هناك عصابة وحفنة من الصعاليك، يقودهم مَنْ يدّعي أنه مُرسلٌ من الله، يقطعون الطريق بأمره، ويسطون على القوافل بوصاياهم. يسلبون وينهبون، ويقتلون ويأسرون، ويسبّون ويغتصبون. فقد قال زعيمهم "جُعِلَ رِزقي تحت ظلِّ رُمحي وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغارُ على مِن خالف أمرِي".

فرزقهم، مصدره قتل الناس بالسيوف والرماح، وسلب أموالهم، ونهب بيوتهم، وسبي نسائهم، وبيع أطفالهم. هذا ما علمهم به زعيمهم ونبههم، وهذه هي وصايا القتال الضحوك، كما وصف نفسه متشرفاً. مفتخراً بقتل الناس، متباهياً بنهب القوافل، متبجحاً بسلب الأموال!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
المغازي/ الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.

تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/
مصر.

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي
للنشر/ القاهرة - مصر.

بني قريظة

في السنة الخامسة بعد الهجرة، وبعيد غزوة الخندق، انصرف النبي محمد راجعاً إلى مدينة يثرب ومعه المسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل، وقد عصب رأسه الغبار، معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رَحالةٌ، عليها قطيفة من ديباج. فقال: غفر الله لك، أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ فقام محمدٌ فزعاً، وقال: نعم. فقال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إنَّ الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامدٌ إليهم بمن معي من الملائكة، لأزلزل بهم الحصون.

فأمر النبي محمد مؤذناً فأذن في الناس: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلِّ العصر إلا في بني قريظة. فلبس الناس السلاح. وخرج نبي الأمة، فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة، فقال: هل مرَّ بكم أحد؟ فقالوا: مرَّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء، تحته قطيفة ديباج. فقال: ذلك جبريل، أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب.

فأمر محمد بمحاصرة حصون بني قريظة، فناداهم: يا أخوة القردة والخنازير وعبد الطواغيت. فقالوا: يا أبا القاسم، لم تكن فاحشاً. فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فقال لهم المسلمون: السيف بيننا وبينكم، لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً، فاشتد عليهم الحصار، حتى جهدهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن يقتل الرجال، وكل مَنْ جرت عليه المواشي، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء. فقال نبي الرحمة: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة!

فأمر محمد بحبسهم بالمدينة في دار بنت الحارث، فكُتِفُوا ونُحُوا ناحيةً، وأُخرج النساء والذرية فكانوا ناحيةً، وجمع أمتعتهم وما وجد في حصونهم، فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألف رمح وألف وخمسمائة ترس، ووجدوا جمالاً وماشية كثيرة.

ثم خرج إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، فخرج بهم إليه أرسالاً، فلم يزل ذلك الدَّاب حتى فرغ منهم، وهم ستمئة أو سبعمئة، والمكثّر لهم يقول: كانوا ما بين الثمانئة والتسعمئة.

وأمر خاتم الأنبياء بقتل كلِّ مَنْ أُنبت منهم، فروى عطية الكلبى قائلاً: كان رسول الله قد أمر أن يُقتل من بني قريظة كلُّ من أُنبت منهم، وكُنْتُ غلاماً، فوجدوني لم أُنبت فخلوا سبيلي.

بعدها قسّم النبي محمد أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس، وقسم للفارس ثلاثة أسهم. وبعث بسبايا من بني قريظة إلى نجد بيد سعد بن زيد، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً، وكان نبي الله ورسول السماء قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو، وكان عليها حتى توفي وهي في ملكه، وقد عرض عليها محمد الإسلام فامتنعت، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، فرفضت واختارت أن تستمر على الرّق ليكون أسهل عليها.

رسولٌ من الله يضرب أعناق ثمانئة إنسان بساعةٍ واحدة، ويدفن جثثهم في الخندق. وأثناء عملية القتل والذبح وضرب الأعناق، ودفن الجثث والأشلاء، قام قائد الجيش وزعيم الأمة بترك كل هذه الأمور، وانتقل ليختار

لنفسه امرأة من زوجات القتلى الذين قُطعت رؤوسهم قبل قليل، فوقع اختياره على ريحانة.

أي نوع من البشر هذا الذي يضرب الأعناق ويغتصب النساء في نفس الوقت! أي نوع من الكائنات هذا الذي يسفك الدماء، ويُمزق الأشلاء، ويُقطع الجثث، ويزني بالنساء كرهاً ورغماً عنهن!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
المغازي/ الواقدي/ الجزء الثاني/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/ مصر.

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي للنشر/ القاهرة - مصر.

بني المُصْطَلِق

بني المصطلق، قبيلة عربية من خزاعة، كانت أراضيهم على مقربة من شاطئ البحر الأحمر. كان زعيمهم الحارث بن أبي ضرار. تعرضت هذه القبيلة إلى غزو من قبل المسلمين في السنة الخامسة أو السادسة بعد الهجرة.

خرج النبي محمد في سبعمئة من أصحابه إلى بني المُصْطَلِق، فدفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة. حتى لقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له: المُرَيْسِيع، وأنعامهم تُسقى على الماء، فطلب محمد من عمر بن الخطاب أن ينادي في الناس، أن قولوا، لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسهم، وأموالكم. فأبوا.

فتزاحم الناس، وتراموا بالنبل واقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزم بني المُصْطَلِق، فما أفلت منهم رجل واحد، وقُتل مَنْ قُتل منهم، وأسر سائرهم، فأصيب من بني المصطلق يومئذ ناسٌ كثير. وأخذ محمد أبناءهم عبيداً، ونساءهم سبايا، واستولى على كل أموالهم ومتاعهم، والنَّعَم والشاء، فأمر بالأسرى فكُتِفُوا وجُعِلُوا ناحيةً. وأمر ما وجد في رحالهم من سلاحٍ فجمع، وعُمِدَ إلى النعم والشاء فسِيق. وجمع الذرية ناحيةً. فأخرج الخمس من جميع المغنم، وقسم الباقي بين المسلمين.

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، ابنة زعيم بني المُصْطَلِق، وكانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه. قالت عائشة، زوجة محمد: فوالله، ما هو إلا رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفتُ أن نبي الأمة سيرى منها ما رأيت. ويذكر المؤرخ

ابن كثير مُعلقاً على كلمة عائشة "فكرهتها" قائلاً: والكره هنا من باب غيرَة المرأة من المرأة، وخوفها منها على زوجها.

فدخلت جُويرية على خاتم الأنبياء فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفِ عليك، فوقعْتُ في السهم لأحد المسلمين، فكاتبته على نفسي، فجئتُك أستعينك على كتابتي. فقال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أقضي عنك كتابتك، وأتزوّجك؟ قالت: نعم، قال: قد فعلت!

أهذا ما أمر به الله؟ أهذا ما جاء به رسول الله؟ غزوٌ وإجتياح، وهجومٌ وإكتساح. وسلبٌ، ونهبٌ، وسبيٌ، واستعباد. وسطوٌ واستيلاءٌ على مال الناس بالقوة، والهجومُ عليهم قهراً وبطشاً. ما هذا إلا إحترافٌ للصوعية، وإمتهانٌ للسركة. فاتخذ الغزو عملاً للاكتسابِ والارتزاق، وللمعيشة والمنفعة!

إناسٌ يرفضون فكرة "لا إله إلا الله" ولا يعتنقون ديناً ما، تُضرب أعناقهم بدم بارد، بلا رحمة ولا شفقة، ومُترَقّ أشلاؤهم بظلم وجور. فيأخذ أطفالهم عبيداً، يُباعون في الأسواق، وتُسبى نساؤهم وتُغتصب جهاراً نهاراً، وتُسلب أموالهم وإبلهم وأغنامهم، وتُنهب بيوتهم ومتاعهم وأراضيهم!

فأي دينٌ هذا؟ وأية شريعةٌ تلك؟ مَنْ هذا الذي يدّعي أنّ الإسلام دينٌ سلام ومحبة، وطُمأنينةٌ وسكينة! بل إنه خوفٌ ورعب، وذُعرٌ وحرب، وفزعٌ وكرب. ما هذا الدين، الذي لسانه سيفٌ، وقلبه رمحٌ، وكلامه نبلٌ. دينٌ مُضرجٌ بالدماء، ومُملطحٌ بالوحل!

المصادر:

البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

المغازي/ الواقدي/ الجزء الأول/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/
مصر.

أُمِّ قِرْفَةَ

أُمِّ قِرْفَةَ، فاطمة بنت ربيعة الفزارية، من قبيلة فزارة، متزوجة من مالك بن حذيفة، وولدت له ثلاثة عشر ولداً، وقيل ثلاثون ولداً، أكبرهم قِرْفَةُ وبه كُنيت. وكان جميع أولادها من الرؤساء في قومهم. وكانت أُمِّ قِرْفَةَ شاعرة من أعز العرب ممن يُضرب بهم المثل في العزة والمنعة، فيقال: أعز من أُمِّ قِرْفَةَ!

في رمضان من السنة السادسة بعد الهجرة، بعث النبي محمد ابنه بالتبني "زيد بن حارثة" ومعه المسلمين للإغارة على بني فزارة في ناحية بوادي القُرى، على بعد سبع ليالٍ من مدينة يثرب.

فكمنوا النهار وساروا الليل، وحينما وصلوا كَبَرُوا وأحاطوا بمن حضر هناك من فزارة، وأخذوا أُمِّ قِرْفَةَ، وبناتها جارية بنت مالك، كانت في بيت شرف من قومها، فكان الذي أخذها مَسْلَمَةُ ابن الأكوع، حيث يقول: وكانت جارية من أحسن العرب.

وعمد قيس بن المُحَسَّر أو زيد بن حارثة إلى أُمِّ قِرْفَةَ، وهي عجوزٌ كبير، فقتلها قتلاً عنيفاً. فقد ربط بين رجلها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين، ثم زجرهما فذهبا فقطعها، فشَقَّها نصفين، وقتل النعمان وعبيد الله ابني مَسْعُودَةَ بن حكمة. فعاد زيد إلى المدينة، والنبي محمد في بيت عائشة، ففرع الباب، فقام محمدٌ إليه عُرِياناً يجرُ ثوبه، تقول عائشة: ما رأيته عُرِياناً قبلها، حتى اعتنقه وقبله وسأله، فأخبره بما ظفروا به.

ويروي مَسْلَمَةُ بن الأَكْوَع، الذي أخذ بنت أم قِرْفَةَ سبيَةً قائلاً: غزونا ناساً من بني فزارة، فشننا الغارة عليهم، فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا. فأبصرت جماعة من الناس وفيهم النساء والذراري، فجئتُ بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، معها ابنة لها من أحسن العرب. فقدمتُ المدينة فلقيتُ النبي بالسوق فقال لي: يا أبا سلمة لله أبوك هب لي المرأة. فقلتُ: والله لقد أعجبتني، وما كشفتُ لها ثوباً. فسكت عني، حتى إذا كان من الغد لقيني في السوق، فقال: لله أبوك! هب لي المرأة، فقلتُ: والله ما كشفتُ لها ثوباً، وهي لك، فأخذها زعيم الأمة ورسول الله.

امرأة عجوز، هَرَمَةٌ جداً، بلغت أقصى الكبر، يُشَقُّ جسدها إلى نصفين بدم بارد، بلا ضمير ولا وجدان. هكذا كان يُمَزَّقُ المرء، بغض النظر أهو غلامٌ صغير، أم عجوزٌ كبير، تُضْرَبُ عُنُقُهُ، وتُقَطَّعُ رأسه، وتُمَرَّقُ أشلاؤه، وتُبْعَثُ أعضاؤه. ثم تُسبى البنات الصغيرات، فتوزَّعُ على الصعاليك، فيصطفي منهنَّ خاتم الأنبياء والرسل ما يشاء، بعدها تبدأ عملية الاغتصاب الجماعي.

هكذا كانت الغزوات، قريةً تبعد سبعة أيام عن مدينة الرسول، يُشَنُّ عليها هجومٌ مباغت، وإقتحامٌ مفاجئ، ومداهمةٌ على حين غفلة، فتُسبى النساء، وتُنهب الأموال، وتُسلب البيوت، هكذا كان حال القرى التي حلَّ عليها غضب رسول الرحمة، صاحب المقام المحمود.

عُنْفٌ وبأسٌ وقساوةٌ وشدةٌ، وفتكٌ وبطشٌ وظلمٌ وطغيان. هذه هي صفات الصحابة ونيهم، هذه كانت حالتهم وسمتهم وميَّزتهم. إنحطاطٌ وسماجة، وفظاظةٌ ووضاعة. لا مروءة ولا نخوة، ولا بُل ولا رجولة.

المصادر:

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.

المغازي/ الواقدي/ الجزء الثاني/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.
تاريخ الرسل والملوك/ الطبري/ الجزء الثاني/ الطبعة الثانية 1967/ دار المعارف/
مصر.

كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي
للنشر/ القاهرة - مصر.

سرايا وغزوات السنة السادسة للهجرة

في السنة السادسة للهجرة، شنَّ الصحابة الأجلاء عدة سرايا وغزوات بأمر النبي محمد، فكان أولها سرية عُكاشة بن محصن الأسدي إلى الغَمَر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، وعَلِمَ به القوم فهربوا، ووجد الصحابة أثر النِّعم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، وساقوهم إلى المدينة وقدموا على الرسول.

ثم بعث النبي محمد أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين، فمشوا إليهم حتى وافوا أرضاً تُدعى ذو القِصَّة في ظلمة الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، فأخذوا نَعَمًا من نَعَمهم فاستاقوه وقدموا بذلك المدينة، فخمسه الصادق الأمين، وقسَّم ما بقى عليهم.

وفي هذه السنة، أرسل النبي بعض الصحابة يقودهم زيد بن حارثة إلى بني سُليم، فسار حتى ورد الجموم، فهجم عليهم، واندفع نحوهم فجاءه دون ترقب، فأصاب الصحابة الأجلاء نَعَمًا وشاء وأسرى، واستولوا على الغنائم عنوةً وقهراً.

ثم بلغ النبي أنَّ قافلةً لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة مرة أخرى في مئة وسبعين راكباً يتعرض لها، في موضع يُدعى العيص، حتى هجموا عليها كذئاب بشرية، قد نُزعت منهم الإنسانية، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذ أموالاً وفضةً كثيرة، وأسروا ناساً ممن كان في القافلة، منهم أبو العاص بن الربيع، زوج زينب بنت النبي محمد.

بعدها بُعث زيد بن حارثة من قبل زعيم الأمة للمرة الثالثة إلى ماء يُدعى الطّراف، فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فانقض على الناس الآمنين المطمئنين بُغْتَهُ وعلى غفلة منهم، فأغار وإقتحم، وصال وهجم، فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب وصَبَّحَ زيدٌ بالنَّعم المدينة، وهي عشرون بعيراً. ثم أرسل النبي أيضاً زيد بن حارثة للمرة الرابعة إلى وادي القُرى في نفس العام.

بعدها أرسل نبيُّ الأمة وسيد المرسلين إلى بني سعد بفدك ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب في مئة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى موضع يُدعى الهَمَج، وهو ماء بين خير وفدك، فأغاروا عليهم وأوقعوا بهم ودفعوا عليهم الخيل، فأخذوا خمسمئة بعير، واستولوا على ألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعْن، حاملين نسائهم، مُدبرين بأطفالهم، تاركين أرضهم وديارهم وأموالهم. فعزل أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليُّ بن أبي طالب صفى النبي، ثم عزل الخُمس، وقسَّم سائر الغنائم والمكاسب، ووَزَّع السلب والنهب الذي تبقى على أصحابه الأجلاء وقدم المدينة.

وفي نهاية هذه السنة، خرج النبي محمد بنفسه غازياً الحديبية، معه ألف وأربعمئة من الصحابه والمبشرين بالجنة، وقد استنفر من حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، فأبطؤوا عليه، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب. واستخلف على المدينة عبد الله بن أمّ كلثوم، ولم يخرج معه السلاح إلا السيوف.

هذه هي نبذة بسيطة لما حدث في السنة السادسة للهجرة، قتالٌ وإجتياح، وهجومٌ وإكتساح، وسطوٌ وإستلاب، وإبتزازٌ وإغتصاب، وسلبٌ ونهب، وقهرٌ وغصب، وغزوٌ وإغارة، وكرٌّ وفر.

فَلِمَ كل هذا القتل والذبح؟ وما سبب سفك هذه الدماء وإراقتها؟ رؤوسٌ قُطعتُ، وبطونٌ بُقرتُ، وأشلَاءٌ مُزقتُ، وجثثٌ تناثرتُ! أهذا هو الدين الذي نعتنقه تفاخراً، أهذا هو الإسلام الذي نعتز به تشرفاً، أهذه هي الرحمة التي نتبجح بها تكبراً.

كفانا جهلاً وتخلفاً، كفانا طيشاً وتهوراً، كفانا كذباً على الناس وعلى أنفسنا، يُقتل الناس الأبرياء، وتُغتصب نساؤهم، وتُباع أطفالهم، وتُهدم بيوتهم، وتنهب أموالهم، ويُسلب متاعهم، مِن أجل أن يُعبد الإله!

أي إله هذا الذي يأمر بهكذا أعمال؟ أي إله هذا الذي يقبلُ بهكذا أفعال؟ أحقاً إنها أوامر من السماء؟ أفعالاً إنها تشريعات من ذلك الإله الخفي، المستور، المحتجب، المستتر، القابع في عرشه، المنزوي فيه، المتواري عن الأنظار! كم نحن مخدوعون إن صدقنا هذا الهذيان والهراء، وكم نحن مغفلون إن آمنا بهذه الحماقة وقلة العقل وفساده.

المصادر:

الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ الجزء الثاني/ دار الكتاب العربي 2012/ بيروت - لبنان.
البداية والنهاية/ ابن كثير/ الجزء الرابع/ الطبعة الثانية 2010/ دار ابن كثير/ دمشق.
المغازي/ الواقدي/ الجزء الثاني/ الطبعة الثالثة 1984/ دار عالم الكتب/ بيروت-لبنان.
سير أعلام النبلاء/ شمس الدين الذهبي/ السيرة النبوية/ الطبعة الأولى 1996/
مؤسسة الرسالة/ بيروت.
كتاب الطبقات الكبير/ ابن سعد/ الجزء الثاني/ الطبعة الأولى 2001/ مكتبة الخانجي
للنشر/ القاهرة - مصر.